سلسلة أصول بلا أصول 1

حجية الرؤى

وسلطان المنامات

إعداد
محمد إسماعيل المقدم
عفا الله عنه

دار التوحيد للتراث

اسكندرية . الورديان
بجوار مسجدي

سلسلة الأصول بلا أصول

حجية الرؤى

وسلطان المنامات

إعداد

محمد إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

دار التوحيد للنشر

الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

دار التوحيد للتراث
الإسكندرية

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

رقم الإيداع:

جمهورية مصر العربية. الأسكندرية. الورديان.

بجوار مسجدي أبي بكر الصديق وناصر السنة

هاتف: ٠١٢٤٠٦٠٠٤٥ . ٠١١٤٠٤٥١٠٥

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للَّه أحمده، والتوفيق للحمد من نعمه، وأشكره، والشكر كفيل بالمزيد من فضله وكرمه، وأستغفره، وأتوب إليه من الذنوب التي توجب زوالَ نعمه، وحلولَ نِقَمِه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخِيرتُه من خلقِه، افترض اللَّه على العباد طاعته ومحبته والقيامَ بحقوقه، وسدَّ الطرق كلَّها إليه وإلى جنته، فلم يَفتح لأحدٍ إلا من طريقه، فهو الميزان الراجح الذي على هديه توزن الأخلاق، والأقوال، والأعمال، والفرقان المبين الذي باتباعه يُمَيَّزُ أهلُ الهدى من أهل الضلال، فصلى اللَّه وملائكته وأنبياؤه ورسلُه والصالحون من عباده عليه وآلِهِ وأصحابِه، كما وحَّد اللَّه، وعَرَّف به، ودعا إليه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ:

فإنه - باستقراء أحوال الصوفية ومُدَّعي المهدية في مختلف العصور - نجد أن الجانب التنظيري لدعواهم استند إلى أصول بَنَوْهَا على شفا جُرُفٍ هارٍ، وتحكَّموا بها في الشريعة بدل أن يتحاكموا إليها، وقفزوا فوق المعايير الشرعية والعقلية؛ فأثمرت دعواهم فِتَنًا، وجرَّت على أهل الإسلام مِحَنًا، ومِن هنا انبعثت الهمة إلى محاولة زيادة المناعة - لدى الشباب بعامة وطلاب العلم بخاصة - ضد «ظاهرة العبث بمصادر التلقي».

وهذا العبث والعدوان تتعدد مظاهره وأشكاله:

- فمنها ما يكون بالحذف والإبطال؛ كإنكار حُجِّيَّة السنة، أو غيرها من الأدلة الشرعية المرجعية.

- ومنها ما يكون بالزيادة؛ باعتماد مصادر لتلقي الأحكام مُغَايِرَة للأدلة الشرعية المعصومة؛ كالكتاب والسنة والإجماع، وإضفاء الحجية على هذه المصادر المزعومة، الأمر الذي يترتب عليه فتنة في الأرض، وفسادٌ كبير.

وبالرغم من تعدد مظاهر «العدوان على مصادر التلقي» على يد الصوفية بصفة عامة، إلا أننا نذكر هنا ما تورط فيه مُدَّعُو المهدية بصفة خاصة، وكان له أثر في تدعيم دعواهم؛ كاعتماد بعضهم على المنامات، أو التلبيس على الناس بخوارق العادات، أو ادِّعاء التلقي المباشر عن النبي- صلى الله عليه وسلم-، أو دعاوى الإلهام والتحديث والكشف، أو زعم لقيا الخَضِرِ - عليه السلام - والأولياء، والتلقي عنهم.

إن تَكْرَارَ ظاهرة «ادعاء المهدية» - المقترن بالاستجابة العاطفية الجارفة، والمندفعة من أتباع مُدَّعِيهَا - يعكس قصورًا أو تقصيرًا في هؤلاء الأتباع؛ حيث لم يُحْسِنُوا ميزان النقد، والتمحيص والتفتيش الدقيق، قبل التورط في هذه الضلالات، «والعاقل ينظر قبل أن يمشيَ، والأحمق يمشِي قبل أن ينظُرَ»، كما أن هذا «التَّكْرَارَ» يعني أن فِئَاتٍ من الأمة لا تستنبط دروس وعبر التاريخ، وأنها تُلْدَغُ من نفس الجُحْرِ مرَّاتٍ ومرَّاتٍ؛ فأين هي من قول المعصوم- -: «لَا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»[1]؟!

أسأل اللَّه - تعالى - أن ينفع بها أهل الحق والإيمان، وأن يقمع بها أهل البدع والبهتان، إنه كريمٌ منَّان، والحمد للَّه رب العالمين.

محمد بن أحمد إسماعيل المقدَّم

ثغر الإسكندرية في

الجمعة ١٠ من جمادى الأولى ١٤٢٩هـ

الموافق ١٥ من مايو ٢٠٠٨م

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٤٣٩) في «الأدب»، ومسلم (٢٩٩٨) في «الزهد».

تمهيد

حول مصادر التلقي بين أهل السُّنة والصوفية في قضايا الاعتقاد

المصدر: ما يصدر عنه الشيء.

ومصادر التلقي، أو مصادر التشريع هي الأصول التي يؤخذ منها التشريع، أو الأدلة التي تُبنى عليها الأحكام الشرعية.

مصادر تلقي العقيدة عند أهل السُّنة والجماعة قسمان:

القسم الأول: مصادر أولية: وهي الكتاب، والسُّنة، والإجماع[1].

القسم الثاني: ومصدران تابعان لها، وهما: الفطرة، والعقل.

أمَّا العقل: فهو مصدر من مصادر المعرفة الدينية، غير أنه ليس مصدرًا مستقلًّا، بل يحتاج إلى تنبيه الشرع، وإرشاده إلى الأدلة[2].

---

(١) أما القياس؛ فهو -وإن كان من جملة أدلة التشريع- إلا أن الفرق بينه وبين هذه المصادر، أن القياس الأصولي؛ لا يصح في مسائل الاعتقاد، ثم إن هذه المصادر يؤخذ الحكم منها مباشرة، أمَّا القياس فإنه: إلحاقُ واقعةٍ لا نصَّ على حكمها، بواقعة ورد نصٌّ بحكمها؛ في الحكم الذي ورد به النص؛ لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم.
فالقياس لا يؤخذ منه الحكم، بل يؤخذ بواسطته الحكم الشرعي، فلا يظهر أنه مصدر مباشر للتلقي، أمَّا القياس المستعمل في العلم الإلهي، فهو قياس الأَوْلى، لا القياس الأصولي والمنطقي.

(٢) فالعقل يدرك بعض أمور الدين ومسائله الكبار: كوجود اللَّه تعالى، وتوحيده، وعلوه على خلقه، لكنه لا يدرك تفاصيل هذه المسائل التي تتلقى بالوحي كأسماء اللَّه وصفاته، وتفاصيل النعيم والعذاب في الجنة والنار.

وأمَّا الفطرة[1]: فإن الإسلام بعقائده وشرائعه هو دين الفطرة، وكل مسألة من مسائله يوجد في الفطرة ما يؤيدها، ويشهد لصحتها إمَّا صراحة، وذلك في الأصول الكبار، أو إحالة؛ بمعنى أن الفطرة لا تنفر من ذلك.

مصادر التلقي في قضايا الاعتقاد عند الصوفية

اعتمدت الصوفية في هذا الباب على ثلاثة مصادر؛ هي الكشف، والذوق، والوجد، وتحت كل منها أقسام ودرجات[2]، هجروا الكتاب والسنة لأجلها، وقدموا أصولهم عليهما عند التعارض.

فالكشف جنس يدخل تحته أنواع، تتناول الكشف عن الأمور الشرعية والكونية، وكل ما يصح أن يكون موضوعًا للمعرفة بما في ذلك أسماء اللَّه تعالى وصفاته.

أمَّا أنوع الكشف فتشمل:

- الرؤى والمنامات.

- رؤية النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- يقظة بعد موته، واستمداد العلوم منه مباشرة.

- لقيا الخضر عليه السلام، والتلقي عنه.

(١) ولفظ الفطرة يعم الهداية الفطرية، والشعور الفطري، والقضايا التي يسميها أهل النظر: ضروريات، والنظر العقلي العادي أي ما يتيسر للأميين ونحوهم ممن لم يعرف علم الكلام ولا الفلسفة.

والمراد بكون الفطرة من مصادر التلقي أنها تدل على بعض المطالب الإلهية، كالإقرار بربوبية اللَّه، وألوهيته، وعلوِّه على المخلوقات، ونحو ذلك، وليس يراد بها المعنى الأعم الذي يشمل الضرورات العقلية والأمور الغريزية، فإن هذا مما لا نزاع فيه بين عامة العقلاء.

(٢) انظر: «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضًا ونقدًا» ص (١٠٦-١١٩).

- الإلهام، وهو ما يحصل في القلوب من العلوم بلا نظر، أو استدلال، ويحصل عن طريق الملَك أو من اللَّه تعالى مباشرة.

- الفراسة، والهواتف، والمخاطبات.

- الإسراءات والمعاريج؛ فيزعمون عروج الأولياء إلى العالم العلوي، وتلقي العلوم هنالك.

- الكشف الحسي عن حقائق الوجود أمام الولي، حيث يزعمون ارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب، أو عين البصر، أو عنهما معًا، فيدعون أن الولي يخرق أطباق السموات والأرضين، ويتكلم على حقائق الوجود العلوية والسفلية.

ومصادر التلقي عند الصوفية عديدة لا تقتصر على ما تقدم ذكره من المصادر العامة؛ بل يعتمدون على مصادر ثانوية، منها:

- التلقي عن المشايخ الأموات، إمَّا بالذهاب إلى قبورهم، فيسألونهم ويجيبونهم من القبور، وإمَّا برؤية المشايخ يقظة بعد موتهم.

- التلقي عن سائر الأنبياء -عليهم السلام- ومشافهتهم ورؤيتهم.

- التلقي عن الصحابة -رضي اللَّه عنهم- ورؤيتهم.

ولئن كان هذا الخلل في «مرجعية» الصوفية يتخفى أحيانًا وراء ستار من المصطلحات الشرعية، ويوهم الناس بادي الرأي أنهم مشدودون بحبال وثيقة إلى النهج الإسلامي في الاستدلال، إلا أن حقيقة الأمر أن الصوفية -وبخاصة الفلسفية- مشدودة بحبال وثيقة إلى مرجعية بل مرجعيات ضالة لا تمت إلى الإسلام بصلة.

وليس انحراف القوم عن نور الوحي وهدي مَن هديُه خير الهدي صلى اللَّه عليه وآله وسلم، إلا دليلًا على أن التصوف -وبخاصة الفلسفي- جسم دخيل

غريب، دعيٌّ زنيم، مبتدع محدث، إذ لم يعد يرتاب الباحثون في أن التصوف قد تأثر بالأديان القديمة، والفلسفات الأجنبية.

(وحينما نشأ التصوف لم يكن له ظهور منهجي محدد المعالم، غير أن معالمه وأنماطه وأشكاله قد تطورت بمرور الزمن، واستقرت في صورة أخلاط فلسفية يونانية وفارسية وهندية، واستمدت أيضًا من الديانات المحرفة كاليهودية والنصرانية. ولعل أهم المنابع وأعمقها أثرًا في التصوف: المصادر النصرانية، والهندية، واليونانية.

أمَّا التأثر بالنصرانية: فهو جلي في بعض المصطلحات التي لم يتحرج بعض المتقدمين من الصوفية -كالحلاج[1]- في استعمالها: كالناسوت واللاهوت، ومفهوم «الكلمة» التي عبَّروا عنها بما أسموه «الحقيقة المحمدية».

وهو جلي أيضًا في اختلاف بعض الصوفية إلى رهبان النصارى من أجل التلقي عنهم[2]، وبالفعل اقتبسوا منهم مفهوم اعتزال الحياة في الصوامع، وقمم الجبال؛ طلبًا للأنس بالخالق، بل اقتبسوا سلوكيات الرهبان في تحريم الطيبات، والزهد فيها، تحت مسمى «المجاهدات».

أمَّا التأثر بالمصدر الهندي فقد فصَّله أبو الريحان البيروني في كتابه: «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة»[3].

ومن المستشرقين أيضًا من برهن على استمداد التصوف أصوله الفكرية من

---

(١) انظر: «مدخل إلى التصوف الإسلامي» للدكتور أبي الوفا التفتازاني ص (٣٤، ٣٥)، و«تاريخ التصوف الإسلامي» للدكتور عبد الرحمن بدوي ص (٣٣).

(٢) انظر: «الإحياء» (١/ ٢٢٦)، «قوت القلوب» (٢/ ٥٦)، (٢/ ١٦٧)، «قصة الحضارة» لـ(ول ديورانت) (١٢/ ١١٩-١٢٣).

(٣) «تحقيق ما للهند من مقولة» ص(٦٦)، (٥٢، ٥٣).

الديانات والفلسفات الهندية، مثل: ريتشارد هارتمان، وماكس هورتن، وديلاسي أوليري، ونيكلسون[1]، ومن المعاصرين الدكتور علي زيعور في كتابه: «الفلسفات الهندية: قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والإصلاحية»[2]، والعلامة إحسان إلهي ظهير في «التصوف: المنشأ والمصدر»[3]، والدكتور قاسم غني في: «تاريخ التصوف في الإسلام»[4].

وأمَّا التأثر بالمصدر اليوناني -لا سيما في الإلهيات- فقد تجلى في مفهوم «الإنسان الكامل»[5] أو «الحقيقة المحمدية» المقتبسة من «الغنوصية» كما فصَّل ذلك الدكتور النشار في كتابه «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام».

---

(١) انظر: «في التصوف الإسلامي وتاريخه» تأليف رينولد ألن نيكولسون، ترجمة د. أبو العلا عفيفي ص (ح، ط)، ص (٧٥).

(٢) انظر: «الفلسفات الهندية» ص (٩٠، ٩١).

(٣) انظر كتابه: «التصوف: النشأة والمصدر» ص(٥١-٥٥)، (١٠٢، ١٠٣)، (١٠٨، ١٠٩)، (١١٣-١١٩).

(٤) انظره ص (٢٢١-٢٣٦).

(٥) فكرة (الإنسان الكامل) عند الصوفية محورية، وغاية عليا يسعى إليها من أراد التحقق بالتصوف. وأول من أطلق مصطلح (الإنسان الكامل) هو ابن عربي، وقد كان مَن قبله يُعَبِّرون عن نفس المفهوم باصطلاحات مغايرة.
و«الإنسان الكامل» كمصطلح له مرادفات كثيرة منها:
القطب، والحقيقة المحمدية، والنور المحمدي، والولي، والكلمة، والعقل الأول، والعقل الفعال، ويُعبِّر كل منها عن زاوية من زوايا «الإنسان الكامل».
و«الإنسان الكامل» في زعم الصوفية أول موجود في العالم على الإطلاق، وُجِد نورًا، ومن نوره وُجدت الأنوار والمخلوقات، فبه خلق الله الكون. وهو -في زعمهم أيضًا- الجامع للأسماء والصفات الإلهية، والحقائق الكونية، وهو روح العالَم، به بقاؤه، وأنه برزخ، وله الوساطة بين الحق والخلق، لإيصال الفيض الإلهي إلى الخلق، والوصول بالخلق إلى الحق، وله بذلك التمكين في الكون، والكشف عن المغيبات، وأنه يظهر في كل زمان ومكان، وأن أكمل صورة ظهر فيها هي: صورة محمد صلى الله عليه وسلم. =

وتجلى أيضًا في «حكمة الإشراق» و«وحدة الوجود» و«الفيض» المقتبسة من الأفلاطونية المحدثة، كما بيَّن ذلك الدكتور قاسم غني في «تاريخ التصوف في الإسلام»، والدكتور أبو الوفا التفتازاني في: «مدخل إلى التصوف الإسلامي»، والدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه: «تاريخ التصوف الإسلامي»، والدكتور عبد القادر محمود في كتابه «الفلسفة الصوفية في الإسلام»[1].

= وزعموا أن علة وساطة الإنسان الكامل أن الحق يتنزه عن تدبير الكون تدبيرًا مباشرًا لعدم المناسبة.

ولا شك أن فكرة «الإنسان الكامل» مستمدة من «الغنوصية» أو «الأفلوطينية» يقول الدكتور النشار:

«إن الغنوص قد سيطر على فلسفة الصوفية، ودخلت فكرة (الثنائية الغنوصية) بين اللَّه والمادة في عقائدهم؛ فأصبح محمد -صلى اللَّه عليه وسلم- عندهم -هو أول الصادرات عن اللَّه -سبحانه وتعالى- ومنه صدرت المخلوقات، وهذه العقيدة تعرف عند الصوفية بـ(الإنسان الكامل) أو (الحقيقة المحمدية)، وبمقدور كل إنسان أن يصل إلى تحقيق هذه المرتبة -الجامعة للكمالات الإلهية- عن طريق الغنوص؛ أي: العرفان.

ومما لا شك فيه أن التصوف الفلسفي في الإسلام قد تأثر بالغنوص، وسقط عدد من مفكري الإسلام ضحية له...» اهـ.

من «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» ص (٢١١، ٢١٢) بتصرف.

فأنت ترى أن نظرية «الحقيقة المحمدية» غُلِّف ظاهرها بألفاظ شرعية، مع أن حقيقتها: هدم الدين، وطمس معالم الألوهية، وإهانة مقام النبوة الكريم، ومضاهاة لقول الذين كفروا من قبل.

وانظر: «الإنسان الكامل في الفكر الصوفي» للدكتور لطف اللَّه خوجة، و«الحقيقة المحمدية أم الفلسفة الأفلوطينية» للشيخ عائض الدوسري، و«المصادر العامة للتلقي عند الصوفية» د. صادق سليم.

(١) انظر: «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضًا ونقدًا» للدكتور صادق سليم صادق ص (٣٠-٤٩).

وبعد

فقد كانت هذه توطئة بين يدي هذه السلسلة «أصول بلا أصول» وكانت قد نشرت من قبل في مجلد بهذا العنوان، ثم رأينا إصدار فصوله الخمسة -بعد تنقيحها- كلٌّ في رسالة مستقلة تيسيرًا على القارئ، وهاك عناوين هذه السلسلة.

١- حجية الرؤى، وسلطان المنامات.

٢- دلالات خوارق العادات.

٣- رؤية النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- يقظة بعد موته، والتلقي عنه.

٤- الكشف والإلهام والتحديث.

٥- ادعاء لقيا الخضر -عليه السلام- والتلقي عنه.

والله -سبحانه وتعالى- المسؤول المرجو الإجابة أن ينفع بها النفع العميم، وأن يتجاوز عن زلاتنا، وأن ييسرنا لما يرضيه عنا، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها.

والحمد للَّه رب العالمين

الإسكندرية في ١٥ من شوال ١٤٣٠هـ.

الموافق ٤ من أكتوبر ٢٠٠٩م.

سُلطَانُ المَنَامَـاتِ

كان «الحُلْم»- ولا يزال- من التجارب الإنسانية التي حَظِيَتْ باهتمامٍ بليغٍ في حياة البشر ؛ إذ للحلم آثارُهُ وانطباعاتُهُ في نفس الحالم؛ فقد تلقى صَديقًا أو قريبًا فتراه حزينًا كئيبًا، فتسبر غَوْر نفسه؛ لتعرف سرَّ كآبته وحزنه، فتعجب أشد العجب عندما تعلم أن سبب ذلك رؤيا مرعبة، أو منذرة بخطرٍ سيُدَاهِمُهُ، وقد تجده فرِحًا منشرح الصدر، بَاسِمَ الثغر، وما ذلك إلا لأنه رأى رؤيا مفرحة، أو مُبَشِّرَةً بحدث سارٍّ قادم.

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر- حفظه اللَّه-: «كانت الرؤى- وما زالت- ذاتَ تأثير لا على الأفراد العاديين فحسب، بل على النابغين والأذكياء[1]، وكم أقَضَّت الرُّؤَى مضاجِعَ الجبابرة والملوك، وكم شغلت شَعْبًا بأكمله يَوْمًا مَا، وما رؤيا ملك مصر في عهد يوسف ببعيدة عن ذاكرتنا، فقد رأى سبع بَقَرَاتٍ سمانٍ يأكلهن سبع عجاف، وسبعَ سنبلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابساتٍ، وكانت رؤيا حق، نفعت الناس نفعًا عظيمًا، عندما وُجِدَ الشخصُ الذي يُحسن تفسيرها، وتأويلها»[2].

تعريف الرؤيا:

قال ابن منظور - رحمه اللَّه -: «والرؤيا والحُلْم[3] عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء ، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح»[4].

---

(١) فالفيلسوف اليوناني «سقراط» -مثلًا- لم يكن ينظم الشعر، وإنما شرع في نظمه امتثالًا لصوت سمعه في المنام، انظر: «تاريخ الفلسفة اليونانية» ليوسف كرم ص (٧٥).

(٢) «جولة في رياض العلماء» ص(١٠٧).

(٣) وتُضم لام الحُلُم وتُسَكَّن.

(٤) «لسان العرب» (١٢/١٤٣)، وانظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/٤٣٤)، و«القاموس المحيط» =

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه اللَّه -: «وظاهر قوله -صلى الله عليه وسلم-: (الرؤيا من اللَّه، والحلم من الشيطان) أن التي تضاف إلى اللَّه لا يُقال لها حُلم، والتي تضاف للشيطان لا يقال لها رؤيا، وهو تصرفٌ شرعي، وإلا فالكل يُسمى رؤيا»[1]. اهـ.

والغالب استعمال الرؤيا في خصوص البشرى من اللَّه، مع أنها تُطلَق على عموم ما يراه النائم، قال رسول اللَّه - صلى الله عليه وسلم -: «الرؤيا ثلاث[2]: فالرؤيا الصالحة: بشرى من اللَّه، ورؤيا: تحزين من الشيطان، ورؤيا: مما يُحَدِّثُ المرءُ نفسَه» الحديث[3].

= (٤/٩٩، ٣٣١)، و«الصحاح» للجوهري (٥/١٩٠٣)، (٦/٢٣٤٩)، و«المصباح المنير» (١/ ٢٠٤، ٣٣٧)، و«تفسير الكشاف» (٢/٣٠٢)، والأحلام تُدعَى عند العرب «بناتِ الكرى» أي النعاس، و«بنات الليل»، قال الشاعر في بخيل رأى في حلمه ضيفًا يطرق بابه، فقام إليه بالسيف ليطرده عنه:

أَرَتْهُ بُنَيَّاتُ الكَرى شخصَ طارقٍ ... فقام إليها مُصْلَتًا بحُسامِ

(١) «فتح الباري» (١٢/٣٦٩).

(٢) وليس الحصر مرادًا من قوله: «ثلاث» لثبوت نوع رابع في حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- وهو حديث النفس، وبقي نوع خامس وهو: تلاعب الشيطان، ففي صحيح مسلم: «إذا تلاعب الشيطان بأحدكم في منامه، فلا يخبر به الناس»، وفي رواية: «لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام» (٤/١٧٧٦، ١٧٧٧)، ونوع سادس: وهو رؤية ما يعتاده الرائي في اليقظة، كمن كانت عادته أن يأكل في وقت، فنام فيه، فرأى أنه يأكل، أو بات طافحًا من أكل أو شرب- أي ملأ معدته حتى يكاد الطعام يفيض منها- فرأى أنه يتقيأ، وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص، وسابع: وهو الأضغاث- أفاده الحافظ بمعناه كما في «الفتح» (١٢/٤٠٧، ٤٠٨).

(٣) رواه البخاري (١٢/ ٤٠٤، ٤٠٥) (٧٠١٧)، ومسلم - واللفظ له - (٤/ ١٧٧٣) (٦)، وأبو داود (٤/ ٣٠٤)، (٥٠١٩)، والنسائي (٤/ ٣٩٠)، (٧٦٥٤)، والترمذي (٤/ ٤٦١) (٢٢٧٠)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٢/ ١٢٨٥) (٣٩٠٦)، والإمام أحمد (٢/ ٢٦٩، ٣٩٥، ٥٠٧).

وفي حديث عوف بن مالك - رضي اللَّه عنه- مرفوعًا: «إن الرؤيا ثلاث: منها أهاويلُ من الشيطان ليحزنُ بها ابن آدم، ومنها ما يَهُمُّ به الرجلُ في يَقَظته، فيراه في منامه، ومنها جزء من ستةٍ وأربعين جزءًا من النبوة»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ» (٤/ ٢/ ٣٤٨)، وابن ماجه رقم (٣٩٠٧)، وغيرهما، وصححه الألباني رقم (١٨٧٠).

شرف عِلم الرؤيا

لقي فن تعبير الرؤيا عناية كبرى من المسلمين، وعقد علماؤهم في مصنفاتهم في السُّنة كتبًا مفردة لبيان أحكامها، كما فعل البخاري في كتاب «التعبير» من صحيحه، وكذا مسلم في «كتاب الرؤيا» وغيرهما، فضلًا عن الكتب المفردة فيها.

قال ابن خلدون -رحمه الله تعالى-: «وأما الرؤيا والتعبير لها، فقد كان موجودًا في السلف كما هو في الخلف، وربما كان في الملوك والأُمم من قبل، إلا أنه لم يصل إلينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الإسلام، وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق ولا بد من تعبيرها، فلقد كان يوسف الصدِّيق عليه السلام يُعبِّر الرؤيا كما وقع في القرآن، وكذلك ثبت في «الصحيح» عن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وعن أبي بكر رضي الله عنه.. وكان النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - إذا انفتل من صلاة الغداة يقول لأصحابه: «**هل رأى أحدٌ منكم الليلة رؤيا؟**»، **يسألهم عن ذلك ليستبشر بما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدِّين وإعزازه... ولم يزل هذا العلم متناقلًا بين السلف، وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء**[1]، وكتب عنه في ذلك القوانين[2]، وتناقلها الناس

---

(١) ولذلك قال الذهبي في «السير»: «قد جاء عن ابن سيرين في التعبير عجائب يطول الكتاب بذكرها، وكان له في ذلك تأييد إلهي» اهـ (٤/ ٦١٨).
واشتهر بتأويل الرؤيا، وأكثر من ذلك حتى قال ابن شبرمة: «دخلت على محمد بن سيرين بواسط؛ فلم أر أجبن من فتوى منه، ولا أجرأ على رؤيا منه» اهـ. من «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦١٤)، وهي جرأة العالم المتمكن من فنه.

(٢) هذا التعبير من ابن خلدون يثبت أنه وضع القواعد الأساسية لعلم التعبير، وأنها كُتبت عنه، وتناقلها الناس، ويُفهم منه أن ابن سيرين لم يصنف في هذا الباب. وقد نُسب لابن سيرين =

لهذا العهد، وألَّف الكرماني فيه من بعده، ثم ألَّف المتكلمون والمتأخرون وأكثروا» اهـ[1].

وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله-: «ومن الفِراسة علمُ الرؤيا، وقد عظَّم الله أمرها في كل الكتب المنزلة» اهـ[2].

وقد روى البخاري في «صحيحه» بسنده عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعني مما يُكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟**»، **قال: فيُقَصُّ عليه ما شاء الله أن يُقَصَّ..**»[3].

وفي صحيح مسلم مرفوعًا: «كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى الصبح[4] أقبل عليهم -يعني أصحابه- بوجهه، فقال: «**هل رأى أحدٌ منكم البارحة رؤيا؟**»»[5].

= كتابان لم تثبت نسبتهما إليه، وهما: (تعبير الرؤيا)، و(منتخب الكلام في تفسير الأحلام).
قال الزركلي: «ينسب له كتاب (تعبير الرؤيا) ذكره ابن النديم، وهو غير (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) المطبوع المنسوب إليه أيضًا، وليس له» اهـ. «الأعلام» (٦/ ١٥٤).
وقد كان ابن سيرين يكره أن يتخذ كتابًا في الحديث فأولى أن لا يفعل في التعبير، وقد قال: «لو كنت متخذًا كتابًا لاتخذت رسائل النبي صلى الله عليه وسلم».
ولم يذكر كل من ترجم له خلال القرون الثلاثة الأولى أنه صنَّف كتابًا في التعبير رغم أنهم ذكروا اشتهاره ببراعته فيه.
وأسلوب كتاب «تعبير المنام» ونسقه وشواهده يدل على أنه ليس تصح نسبته إلى القرن الأول حيث عاش ابن سيرين (ت ١١٠هـ).
وذكر الشيخ خالد العنبري في «ثلاثة كتب في الرؤى والأحلام» أن في كتاب «منتخب الكلام» أقوالًا لعلماء أتوا بعده.

(١) «المقدمة» (١/ ٥٢٦، ٥٢٧) ط. العلمية.

(٢) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ص (٨٨) ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

(٣) رواه البخاري (١٦/ ٤١٧) رقم (٧٠٤٧) ط. دار طيبة - الرياض.

(٤) وذلك لأنَّ وقت الصبح هو الوقت الذي يكون البال فيه مجتمعًا، كما في «الفتح» (١٦/ ٤٣٠).

(٥) رواه مسلم (١٥/ ٣٥- نووي).

قال حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر -رحمه الله تعالى-:

«وهذا الحديث يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها لأنه لم يكن - صلى الله عليه وسلم - يقول إذا انصرف من صلاة الغداة: «**هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟**»، **إلا ليقصَّها عليه ويعبرها ليتعلم أصحابه كيف الكلام في تأويلها، وذلك دليل على فضل عبارة الرؤيا وشرف علمها، وحسبك بيوسف عليه السلام وما أعطاه الله منها، وفي أنبياء الله أُسوةٌ حسنةٌ صلوات الله عليهم**» اهـ[1].

وقال القرطبي -رحمه الله تعالى-:

«إنما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألهم عن ذلك لما كانوا عليه من الصلاح والصدق فكان قد علم أن رؤياهم صحيحة، وأنها يُستفادُ منها الاطلاع على كثيرٍ من علم الغيب، وَلِيُبيِّن لهم بالفعل الاعتناء بالرؤيا والتشوُّفَ لفوائدها، وكيفية التعبير، وليستكثر من الاطلاع على علم الغيب»[2].

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في «الفتح»:

«إنَّ من بديع عالَم الأحلام، أن صاحبها يعيش بين ماضيه، وحاله، ومستقبله» اهـ.

ويدل على شرف علم الرؤيا أنه من العلوم التي امتنَّ الله بها على النبيِّ يوسف عليه السلام وكان له فيها قدم السبق، ولهذا لما عدَّد نعمَ الله عليه قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وقال سبحانه عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾.

(١) «الاستذكار» (٢٧/ ١٢١، ١٢٢).
(٢) «المُفهِم» (٦/ ٢٩).

قال مجاهد -رحمه الله-: «تأويل الأحاديث يعني به عِبارة الرؤيا»[1].

وقال أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- وهو يحكي عقيدته: «... ونصدق بحديث المعراج، ونصحح كثيرًا من الرؤيا في المنام، ونقول: إن لذلك تفسيرًا»[2].

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: «ولا أعلم بين أهل العلم والدين والحق، من أهل الرأي والأثر خلافًا في أن الرؤيا فيما وصفت لك، ولا ينكر الرؤيا إلا أهلُ الإلحاد وشرذمة من المعتزلة» اهـ[3].

وقال -رحمه الله- أيضًا: «وعلم تأويل الرؤيا من علوم الأنبياء وأهل الإيمان، وحسبك بما أخبر الله من ذلك عن يوسف عليه السلام، وما جاء في الآثار الصحاح فيها عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم، وأجمع أئمة الهدى من الصحابة والتابعين ومِن بعدهم علماء المسلمين -أهل السُّنة والجماعة- على الإيمان بها، وعلى أنها حكمة بالغة، ونعمة يمنُّ الله بها على من يشاء، وهي المبشرات الباقية بعد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم»اهـ[4].

وقال ابن العربي المالكي -رحمه الله-: «ما أنكر الرؤيا إلا طائفة من القدرية؛ فقالوا: الرؤيا لا حقيقة لها أصلًا»اهـ[5].

(١) رواه عنه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ٣٠٩)، وغيره.
(٢) نقله عنه الحافظ ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» ص (١٦٢).
(٣) «التمهيد» (١/ ٢٨٥).
(٤) «نفسه» (١/ ٤٩).
(٥) «عارضة الأحوذي» (٥/ ١٠٩).

نقد موقف المدرسة النفسية المادية مـــن المنـــامـــات

مِن الناس مَن قد غلظ حجابهم، كالماديين الملاحدة، وكأتباع مدرسة التحليل النفسي، فهم ينكرون الرؤيا الصادقة، وليست الرؤى في زعمهم إلا انعكاسًا لما في النفس في حال اليقظة، أو لما يختبئ في سراديب العقل الباطن أو «اللاشعور»[1].

فعند فرويد: تعتبر الأحلام نافذة يطل منها على «العقل الباطن» فيعرف الكثير عن هذه المنطقة المستترة والهامة والمؤثرة في حياة الشخص[2].

- لقد استقر رأي فرويد على أن النوم يتميز بقلة تعرض الشخص للمؤثرات الخارجية، وابتعاده تمامًا عن الواقع، وفي هذا الجو الهادئ تنشط الصراعات الداخلية اللاشعورية، والرغبات غير المقبولة في الحياة العادية، حيث تجد هذه الأشياء مجالًا أكبر أثناء النوم لعملها، ولكن هذه الأشياء لا تظهر في الحلم بصورتها الفجة، حتى لا تزعج (الضمير) وتوقظه، وبالتالي تقطع نوم الشخص، وإنما تأخذ أشكالًا رمزية حتى تفرغ شِحْنَةَ اللاشعور دون إزعاج للجهاز النفسي[3].

وبعبارة أخرى: الأحلام - عند فرويد - هي الطريق الملكي الموصِّل للَّاشعور، فالحلم «رغبة»، وكل الأحلام قسم واحد ناتج عن الرغبات

(١) «اللاشعور» تعبير غير دقيق من حيث اللغة ومن حيث التركيب؛ إذ لا يصح أن نعرف (بأل) نكرة منفية، أما التعبير المقبول فهو «مكنون النفس»، أو «العقل الباطن».

(٢) ولهذا قال بعضهم: «أخبرني بأحلامك، أشخصْ مشكلتك»، ويقول بعض المحللين النفسيين: إنه يمكن إجراء عملية «التحليل النفسي» الكامل لشخصٍ ما من خلال الاقتصار على معرفة أحلامه فقط.

(٣) «النوم والأحلام في الطب والقرآن» للدكتور محمد المهدي ص(١٠٣).

المكبوتة في النفس، والتي تختبئ أثناء النهار في العقل الباطن واللاوعي، حتى إذا نام الإنسان وخفت الرَّقابة، انطلقت هذه الرغبات من العقل الباطن واللاوعي لتظهر في تلك الأحلام.

لقد قصر «فرويد» الأحلام على حديث النفس، مع بعض المؤثرات الخارجية على الشخص أثناء النوم، وألغى أي احتمال لاتصال النفس بعالَم الغيب تمشيًا مع إلحاده، وفسَّر ملاحظاته على مرضاه تفسيرًا لفظيًّا فلسفيًّا لا يدعمه دليل ولا برهان[1]، وهي مجرد آراء شخصية غير موضوعية وقابلة للنقاش.

إن «فرويد» لم يملك أدلة موضوعية على إثبات ما أثبته، ولا على إنكار ما أنكره، لكنه أفلح في أن يُوهم من يقرأ له أنه أمام حقائق، لا مجرد فروض ونظريات.

ومن هنا فإن «فرويد» و«الفرويديين» يقعون في مأزِق محرج أمام الرؤى الصادقة التي لا يفسرها حديث النفس، ولا رغبات الشعور[2].

إن الماديين الملحدين يزعمون أن القول بأن هناك رؤى تأتي من الغيب أو من إله أو من شيطان إنما هو من الخرافات البالية التي ينبغي طرحُها باعتبارها موروثات شعبية كالخرافات والأساطير، وتنحصر حجة هؤلاء في أنهم يجحدون ما وراء الحِسِّ، فيقبعون داخل قمقم المادية الكثيفة، وينكرون الغيب لمجرد أننا لا نراه ولا ندركه بحواسنا.

«فرويد» لم يعرف من الرؤى إلا أضغاث الأحلام:

يقول الأستاذ الدكتور «سعد الدين السيد صالح» في معرض نقده نظرية الأحلام الفرويدية:

(١) ولذلك يطلقون عليها: (non- evidence based) أو (armchair theories).

(٢) «النوم والأحلام في الطب والقرآن» ص(١٠٨).

«زعم فرويد أن الحلم ما هو إلا تعبير عن رغبة جنسية مكبوتة، وبناءً على ذلك فسر كل ما يراه الرائي تفسيرًا جنسيًّا، ووضع نظريته في تفسير الأحلام، والتي نراها مجرد تبرير لنظريته الجنسية الفاسدة، فقد أخطأ فرويد في نواحٍ كثيرة منها:

١- أن الإنسان له رغبات كثيرة، ونزعات متعددة غير نزعة الجنس، وبالتالي فقد تأتي الأحلام مواكبة لهذه الرغبات:

- فأحلام المؤمن الذي يشعر دائمًا بالخوف من اللَّه فيرى في منامه صورًا من عذاب النار أو نعيم الجنة، لا يمكن أن يكون سببها الجنس، وإنما الخوف، أو الطمع في عفو اللَّه.

- وأحلام الخوف والرعب التي يراها الجندي وسط المعارك لا يمكن تفسيرها على أساس من الجنس، لأن لها دوافع أخرى.

- وهناك أحلام تكون دوافعها الشعور بالعداء والكراهية أو الغضب أو السيطرة أو غير ذلك من المشاعر النفسية المتعددة، ولكن فرويد لا يضع اعتبارًا لكل هذه المشاعر في تفسير الأحلام التي يُرجِعها جميعًا إلى الشعور بالجنس فقط.

٢- ومن هنا يبدو لنا جهله في تفسير رموز الأحلام، حيث حلل كل الرموز تحليلًا جنسيًّا، مع أن مفسري الأحلام يقولون بأن هناك رموزًا ثابتة، وهناك رموزًا متغيرة من فرد إلى فرد، على حسب ظروف الشخص نفسه.

فبعض الرموز التي فسرها فرويد تفسيرًا جنسيًّا، وضع لها العلماء تفسيراتٍ أخرى لا تمت إلى الجنس بصلة، فقد فسر فرويد صعود السلم والطيران بأنه رمز للعملية الجنسية، بينما فسره العلماء بأنه رمز للطموح أو الرفعة، فأي التفسيرين أوقع؟

٣- وقد ركزت نظرية تفسير الأحلام عنده على نوع واحد من أنواع المنامات،

وهي الأحلام، وهي في الإسلام لا تكون إلا من الشيطان، ولم يتحدث عن الرؤيا، وهي لا تكون إلا من اللَّه. كما أنه لم يتحدث عن الأحلام التنبؤية». اهـ[١].

ولقد رصد «المازَري» المتوفى سنة (٥٣٦هـ)، أقوال من سبقوا «فرويد» إلى شبيه هذا الكلام من معاصريه، فقال - رحمه اللَّه تعالى -:

«كثُر كلام الناس في حقيقة الرؤيا، وقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة، لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تُدْرَك بالعقل، ولا يقوم عليها برهان، وهم لا يصدقون بالسمع، فاضطربت أقوالهم»[٢]. اهـ.

إن قطع النفس عن عالم الروح وعن الغيب؛ وعن الصلة بخالقها- عز وجل- يُضَيِّق الرؤية أمامنا في موضوع الرؤية، ويحرمنا فرصة الفهم العميق، والإدراك الصحيح الدقيق[٣].

قال الإمام المحقق ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

«إن علوم المنامات وتصديقها من الأبواب التي تطول جدًّا، فإن لم تسمح نفسك بتصديقه، وقلت: هذه منامات، وهي غير معصومة، فتأمل من رأى صاحبًا له، أو قريبًا، أو غيره، فأخبره بأمر لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا، وأخبره بمال دفنه، أو حذَّره من أمرٍ وقع، أو بشَّره بأمرٍ يُوجد، فوقع كما قال، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله.. إلى كذا وكذا، فيقع كما أُخبر، أو أخبره بخِصْب أو جدب أو عدو أو نازلة أو مرض أو بغرضٍ له،

---

(١) «نظرية التحليل النفسي عند فرويد في ميزان الإسلام» ص(٨٧، ٨٨)، وانظر: «العلاج بالتحليل النفسي» للدكتور عبد الرحمن العيسوي ص(٨١)، (٨٣-٨٥)، (٩٩-١٠٤)، (١١٦-١٢٤).

(٢) نقله عنه الحافظ في «الفتح» (١٢/٣٥٣).

(٣) انظر: «سورة يوسف: دراسة تحليلية» للدكتور أحمد نوفل ص(٢٦٣).

فوقع كما أخبره، والواقع من ذلك لا يحصيه إلا الله، والناس مشتركون فيه، وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب»[1].

ويقول الدكتور عمر الأشقر- حفظه اللَّه-:

« وكثيرٌ من الناس اليوم يُبَادِرُونَ بالتكذيب بالرؤى والأحلام، ويزعمون أن الرؤى المنامية ليست إلا انعكاسات لما يَجُولُ في فكر الإنسان في حال يقظته، وما يُخْتَزَنُ في فكره الباطن، فإذا ما استسلم للرقاد، وطاف في أودية الكرى، فإن عقله الباطن يعمل، فيحقق المرء في نومه ما لم يَسْتَطِعْ تحقيقه في عالم اليقظة.

ونحن لا نُنْكِرُ أن قِسْمًا كبيرًا من الرؤى ليس إلا انعكاسات لأحاديث النفس وخواطرها التي تمر بها في اليقظة، ولكننا نرفض رفضًا قاطعًا أن تكون جميع الرؤى كذلك، ونقول: إن هذا تَحَكُّمٌ يَعْلَمُ كَذِبَهُ كلُّ من تفكر في رؤاه التي مرت به، أو التي سمع الناس يروونها، ويُحَدِّثُونَ بها عن أنفسهم، كيف باللَّه نُفَسِّرُ رؤيا امرأة رأت وليدها يسقط من سطح منزل، وفي الصباح يخرج فلا يعود ؛ لأن سيارة داهمته، وأودت بحياته؟!

وكيف نُفَسِّرُ رؤيا رجل يري نفسه وقد سافر إلى بلد، وسكن منزلًا معينًا رأي في المنام معالمه، فلا تمضي شهور حتى يكون في ذلك المنزل الذي رآه في منامه؟

وكيف نُفَسِّرُ رؤيا رجل رأى أنه سافر، وتعطلت سيارته على صورة ما، وينسى الرؤيا، ولا يذكرها إلا حينما يرى المشهد الذي رآه في المنام حقيقة ماثلة؟! أذكر أن «محمد أسد» ؛ وكان كاتبًا يهوديًّا، ثم اعتنق الإسلام، حَدَّثَ في كتابه «الطريق إلى مكة» عن رؤيا رآها قبل إسلامه، وقام من منامه،

(١) «الروح» ص (٤٤).

وسَجَّلَهَا، وقد تحققت فيما بَعْدُ، على الرغم من طولها، وكثرة أحداثها[1].

إذن، ليس كل الرؤى انعكاسات لأحاديث النفس وخواطرها وهواجسها، بل الأمر أعمق من ذلك.

والإنسان ليس بِمُطِيقٍ بعقله وفكره أن يصل إلى أعماق نفسه؛ ففي النفس الإنسانية مَجَاهِيلُ يعجز الإنسان عن الإحاطة بها، علي الرغم من أنها أقرب الأمور إليه.

والرؤى لها علاقة بالنفوس الإنسانية، وفيها جانب غيبي، لا يخضع للعلم المادي المبني على النظر والتأمل والبحث المادي»[2].

❁ ❁ ❁

(١) وهذا النوع النفيس من المنامات هو ما يُطلَق عليه في علم النفس: الاستبصار بالأحداث والأحوال قبل وقوعها (Precognition).

(٢) «جولة في رياض العلماء» ص(١٠٧، ١٠٨).

القول الفصل ، والمنهج الوسط في شأن الرؤى

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ[1]﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

وعن عبادة بن الصامت - رضي اللَّه عنه - قال: سألت رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- عن قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له»[2].

وعن ابن عباس- رضي اللَّه عنهما- قال: كشف رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- السِّتْرَ ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه، فقال: «اللهم هل بلغت؟- ثلاث مرات- إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو تُرى له»[3].

وعن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- : «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيَّ»، قال: فَشَقَّ ذلك على الناس، فقال: «لكن المُبَشِّراتُ»، قالوا: «يا رسول اللَّه، وما المبشرات؟» قال: «رؤيا المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة»[4].

---

(١) قال الرازي في «التفسير الكبير»:
«ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله، ومن كان كذلك فهو عند النوم لا يبقى في روحه إلا معرفة الله، ومن المعلوم أن معرفة الله ونور جلال الله لا يفيده إلا الحق والصدق، وأما من يكون متوزع الفكر على أحوال هذا العالم الكدر المظلم، فإنه إذا نام يبقى كذلك، فلا جرم لا اعتماد على رؤياه، فلهذا السبب قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ على سبيل الحصر والتخصيص». اهـ. من «التفسير الكبير» (١٦/٤٠٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٢٧٥)، وحسَّنه، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٩)، وغيره.

(٤) رواه الترمذي (٢٢٧٢)، وغيره، وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- قال: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[1].

وقد أَغْنَانَا الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن إتعاب النفس في هذا الموضوع، وقال لنا فيه الكلمة الحق ؛ وهي الكلمة الفصل التي لا نحتاج معها إلي غيرها[2]؛ وذلك أنها تمثل الحقيقة، وتُفَسِّرُ الأمر تفسيرًا يدرك الإنسان صدقه عندما ينظر إلى رؤاه، ورؤى الناس في ضوء ما أخبر به المصطفى -صلى الله عليه وسلم-.

يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي يرويه ابن ماجه: «إنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: مِنْهَا أَهَاوِيلُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ، وَمِنْهَا مَا يَهِمُّ بِهِ الرَّجُلُ في يَقَظَتِهِ فَيَرَاهُ في مَنَامِهِ، ومِنْهَا جُزْءٌ مِنْ ستَّةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[3].

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٥٧٤) (٦٦١٤)، ومسلم (١٥/ ٢٥، ٢٧) (٢٢٦٣)، قال القرطبي: قال ابن عبد البر: «اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي اختلاف تضاد وتدافع- والله أعلم-، لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث، وأداء الأمانة، والدين المتين، وحسن اليقين، فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد، فمن خلصت نيته في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه، كانت رؤياه أصدق، وإلى النبوة أقرب، كما أنَّ الأنبياء يتفاضلون». اهـ. من «الجامع لأحكام القرآن» (٩/١٢٣)، وانظر: «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين» ص(٦٤٤- ٦٥٣).

(٢) وقد فصَّلت سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر الرؤيا، حتى إن «كتاب التعبير» الذي عقده البخاري في «الجامع الصحيح» احتوى تسعة وتسعين حديثًا، وافقه مسلم على تخريجها كلها إلا قليلًا، كما أورد فيه عشرة آثار عن الصحابة والتابعين، وانظر: «فتح الباري» (١٢/٤٤٦)

(٣) «صحيح ابن ماجه» (٣١٥٤) (٢/٣٤٠).

وفي الحديث الآخر عند الترمذي: «الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: الْحَسَنَةُ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، والرُّؤْيَا يُحَدِّثُ الرَّجُلُ بِهَا نَفْسَهُ، والرُّؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ»[1].

فالذي قَرَّرَهُ الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الرؤيا أنها ثلاثة:

الأول: حَديث النفس؛ وهي التي أسماها العلماء المادِّيُّونَ بالانعكاسات النفسية؛ وهي خواطر النفس، وتطلعاتها التي تصبو إلى تحقيقها في واقع الحياة، فتراها في المنام، إذ تحلم بممارسة أمور لم تستطع تحقيقها في واقع الحياة.

النَّوْعُ الثَّانِي: من الرؤى التي أخبر بها الرسول -صلى الله عليه وسلم-: هي الرؤيا التي يسببها الشيطان؛ فإنه قد يُمَثِّلُ للإنسان في منامه رؤيا مفزعة، تُبَلْبِلُ خواطره، وتُرْهِقُ نفسه، وتَجْعَلُهُ يجول في عوالِمَ بعيدةٍ، حَذِرًا متخوفًا، وفي الحديث: «الرُّؤْيَا الصَّالِحةُ مِنَ اللَّهِ، والحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَي أَحَدُكم ما يُحبُّ، فلا يُحدِّثْ بِهِ إِلَّا مَن يُحِب، وإذا رأى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وشَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَتْفُلْ ثَلَاثًا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ» متفق عليه[2].

وقد جاء رجل إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال: «رَأَيْتُ في المنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قَدْ قُطِعَ، قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-، وقَالَ: «إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ في مَنَامِهِ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ» رواه مسلم[3].

(١) «صحيح سنن الترمذي» (١٨٦٧) (٢/٢٦٢)، فالرؤيا كالكشف: منها رحماني، ومنها نفساني، ومنها شيطاني، كما قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (١/١٥٤).
(٢) رواه البخاري (١٢/٣٧٣)، ومسلم (٢٢٦١) (٢) في أول كتاب الرؤيا.
(٣) رواه مسلم (٢٢٦٨) (١٦) في الرؤيا.

والشيطان لديه القدرة على الوسوسة في صدور الناس ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾، وفي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَي الدَّمِ»، فلديه القدرة على أن يُمَثِّلَ للنفس في منامها أمورًا تُفْزِعُهَا وتَحْزُنُهَا.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: رؤيا لم يُفَكِّرْ بِهَا صاحبها يومًا، ولم تخطر على باله، وهي بَعِيدَةٌ كل البعد عن تفكيره، وقد يراها بصورة جلية، لا تحتاج إلي تفسير ولا إلى تأويل، وقد تكون أمثالًا مضروبة، وأحداثًا مسبوكة، تحتاج إلي علم وتقدير، وفهم ثاقب، ونظر بعيد، وما كل من رُزِقَ علمًا رُزِقَ فَهْمًا بتأويل الأحلام والرؤى.

وهذا النوع من الرؤى هو البقية الباقية من حقيقة النبوة، فالوحي قد انقطع، والنبوة قد خُتِمَتْ، ولم يَبْقَ إلا هذه الرؤى، وهي المبشرات، يَقُولُ الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَاتُ»، قَالُوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحةُ» رواه البخاري[1].

وزاد مالك برواية عطاء بن يسار: «يَرَاهَا الرَّجُلُ المُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ».

وعن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «الرُّؤْيَا الصَّالِحةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» متفق عليه[2].

وإذا كانت الرؤيا من الرسول والأنبياء فهي حق لا تُكَذَّبُ، بل هي وحي إلهي، وقد بادر خليل الرحمن إبراهيم إلى ذبح ولده عندما رأي في المنام أنه يذبحه، وما ذلك إلا لأن رؤياه وحي.

وغير الأنبياء تقع له الرؤيا الحق، وتكون دلائل الصدق عليها بينة، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأنها رؤيا حق إلا إذا تحققت على النحو الذي رآه صاحبه في منامه.

(١) رواه البخاري (١٢/٣٧٥) في التعبير: باب المبشرات، ومالك في «الموطأ» (٢/٩٥٧).
(٢) رواه البخاري (١٢/٣٧٣)، ومسلم (٢٢٦٤) في الرؤيا.

تنبيه : حول معنى كون الرؤيا جزءًا من النبوة :

معنى كون الرؤيا الصادقة أو الصالحة جزءًا من أجزاء النبوة: أنها شابهتها، أو شاركتها في الصلاح، والإخبار عن أمرٍ غيبي مستقبل[1].

ولا يُفهم من هذا أن رؤيا الكافر إذا كانت صادقة - كرؤيا الملك التي فسرها له يوسف - عليه السلام -، وكذلك رؤيا صاحبيه في السجن - أنَّها تكون من أجزاء النبوة، فإن أكثر الروايات جاءت مقيدة بالمسلم أو المؤمن.

ثم إنه ليس كل من صدق في حديث عن غيب كان ذلك من أجزاء النبوة، أو كان ذلك دليلًا على صلاحه واستقامته، وإلا لكان الكهان كذلك؟!

قال أبو العباس القرطبي: والرؤيا لا تكون من أجزاء النبوة إلا إذا وقعت من مسلم صادق صالح، وهو الذي يُناسب حاله حال النبي -صلى الله عليه وسلم- فأُكرِم بنوع مما أُكرم به الأنبياء، وهو الاطِّلاع على شيء من علم الغيب، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصادقة في النوم، يراها الرجل الصالح أو تُرى له»[2].

فإن الكافر والكاذب والمخلِّط - وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات - لا تكون من الوحي ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة، وقد قدمنا أن الكاهن يُخبر بكلمة الحق وكذلك المنجم قد يحدِس فيصدق، لكن على الندور والقلَّة»[3].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «المُعْلِم» (٣/ ١١٨)، و«عارضة الأحوذي» (٩/ ١٩١)، و«كشف المشكل» (٢/ ٧٦)، و«معالم السنن» (٤/ ١٢٩)، و«فتح الباري» (١٢/ ٣٦٣).

(٢) راجع تخريجه ص(١٨).

(٣) «المفهم» (٦/ ١٣)، وانظر: «عارضة الأحوذي» (٩/ ٩٢)، و«طرح التثريب» (٨/ ٢٠٧، ٢٠٨)

غلو المُفرِطين في شـــأن الـرُّؤى

بإزاء أهل «الجفاء والتفريط» الماديين في شأن الرؤى، وُجد على الطرف الآخر - وكلا طَرَفَيْ قصدِ الأمورِ ذميمُ - فريق الغلو والإفراط، وهؤلاء غَلَوْا في شأن الرؤى، وتمدد سلطانها، وتضخم تأثيرها على مسار حياتهم، كأنها وحي معصوم، فترى الواحد منهم ينتظر- في كل موقف- رؤيا تشير عليه بالطريق[1]، بل منهم من رأى أن الرؤية حجة شرعية يستمد منها الأحكام التكليفية تمامًا كما يستمدها علماء الشرع من القرآن والسنة.

(تضايق ناسٌ من وجود حاكم من الحُكَّام، وأصبحوا يتحدثون عن أمراضه، وقرب وفاته، فإذا بكثير منهم يرى في المنام أنه سيموت في شهر كذا، أو قبل شهر كذا، ثم يؤولها لهم واحد ممن على شاكلتهم، فيجزمون أنه لا يصلي العيد مع المسلمين، ويؤكدون بأن هذه الرؤى تواطأت، وأنه لا يمكن تكذيبها أو جحدها، ولا يمكن التشكيك في حصولها، فما الذي حدث ؟ لقد صلى العيد وأعيادًا أخرى بعده.

وآخرون ثَقُلَ عليهم ما يُعَانِيهِ المسلمون من اليهود، فطاشت نفوسهم إلي أحلام رأوا فيها أن معارك واجتياحات يهودية لبلدان المسلمين ؛ سوف تحصل في عام كذا وكذا، وبدءوا يضعون الخطط والاستراتيجيات، والتوقعات، لمواجهة هذا العدوان في هذا التاريخ)[2].

(١) ومنهم من يصلي صلاة الاستخارة ثم ينام بعدها مترقبًا حصول رؤيا منامية تدله على ما ينبغي عمله، وهذا مما لا أصل له في الدين، كما سيأتي- إن شاء الله- ص(٩٩).

(٢) «زغل الدعاة» للشيخ سعيد بن ناصر الغامدي، ص(٦٦، ٦٧)، ويشبه هذا السلوك الغوغائي الذي يُهرع إليه العوام بدون تثبت ولا روية ما رواه الإمام الحافظ محمد بن وضاح القرطبي- رحمه الله- بسنده إلى حارثة بن مضرب قال: «إنَّ النَّاس نودي فيهم =

(وفي بعض الجمعيات الإسلامية انشق فريق من أعضائها على قيادتهم، وناصبوها العِداء بناءً على رؤى رآها بعضهم، كأنما اعتبروها وحيًا.

وحكى أحد الصحافيين أن أحد حكام المسلمين- بعد أن قرر إجراء الانتخابات في بلده في موعد معين- عاد فألغاها نتيجة رؤيا رآها، حذَّرته من عواقبها. هكذا امتد سلطان المنامات لتتحكم في الدين والسياسة وسائر شئون الحياة)[1].

لقد كان من أسباب افتتان بعض الناس، ومتابعتهم لأولئك الذين احتلوا الحرم المكي، واعتصموا به، تلك الرؤى التي رآها بعض الكبار والصغار، والنساء والرجال، وهي في جملتها تشير إلى أن المدعو محمد عبدالله القحطاني هو المهدي الذي بَشَّرَ به الرسول -صلى الله عليه وسلم-[2]، وقد تبين للناس اليوم أن تلك الرؤى لم تكن صادقة؛ لأن ذلك الرجل ليس هو

= بعد نومة، أنَّه (من صلى في المسجد الأعظم- يعني أكبر جامع في البلد- دَخل الجنة)، فانطلق النساء والرجال، حتى امتلأ المسجد قيامًا يصلون- قال أبو إسحاق: إن أمي وجَدتي فيهم- فأُتيَ ابنُ مسعود فقيل له: أدرك النَّاس، فقال: ما لهم؟ قيل: نودي فيهم بعد نومةٍ: أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فخرج ابن مسعود يشير بثوبه: (ويلكم اخرجوا لا تُعَذَّبوا إنما هي نفخةٌ من الشيطان، إنه لم يُنَزِّلْ كتابًا بعد نبيكم، ولا ينزل بعد نبيكم)، فخرجوا، وجلسنا إلى عبد الله فقال: (إن الشيطان إذا أراد أن يوقع الكذب انطلق، فتمثل رجلًا فيلقى آخر، فيقول له: أما بلغك الخبر، فيقول الرجلُ: وما ذاك؟ فيقول: كان من الأمر كذا وكذا، فانطلِق فحدِّث أصحابك، قال: فينطلق الآخر، فيقول: لقد لَقِينا رجلًا إني لأتوهمه أعرف وجهه، زعم أنَّه كان من الأمر كذا وكذا، وما هو إلا الشيطان). اهـ. من «البدع والنهي عنها» ص(٣٣، ٣٤)، وانظر: «مقدمة صحيح مسلم» (١٢/١)، و«عالم الجن والشياطين» للأشقر ص(٣٩، ٤٠).

(١) «موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى» للدكتور يوسف القرضاوي ص(١١٨).

(٢) انظر: البحث المتعلق بالمهدي القحطاني في كتاب «المهدي» للمؤلف ص(٤٣٣ - ٤٣٥)، طبعة دار ابن الجوزي - القاهرة.

المهدي، وإلا لو كان هو لم يقتل، ولبقي حتى يملأ الأرض عدلًا كما مُلِئَتْ جورًا وظُلْمًا؛ فذلك من علاماته الثابتة في الأحاديث، ولو كان فينا رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- لعرَّفَنا بالرؤيا الباطلة إذا اشتبهت الأمور، أما ونحن لسنا بمعصومين، فإن الرؤى تبقى في مجال الظن، ولا ترقى إلى اليقين والجزم ما لم تتمثل في واقع مشهود، وعند ذلك يوافق الواقع الخبر.

لقد أوَّل أبو بكر الصِّدِّيق - رضي اللَّه عنه - بين يدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- رؤيا، فبين له الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه أصاب في تأويله وأخطأ[1]، فمن يضمنُ لنا ألا نقع في الخطأ، ومن يضمَنُ لنا أن نُصِيبَ كَبِدَ الحقيقة)[2].

❁ ❁ ❁

(١) عن ابن عباس- رضي اللَّه عنهما- قال: كان أبو هريرة- رضي اللَّه عنه- يحدث: أن رجلًا جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: «إني رأيت الليلة ظُلَّةً يُنَظَّفُ منها السمن والعسل، ورأيت الناس يستقون بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، ورأيت سببًا واصلًا من السماء إلى الأرض، فأراك يا رسول اللَّه أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل بعدك فَعَلا، ثم أخذه رجلٌ بعده فَعَلا، ثم أخذ به رجل فقُطِع به، ثم وُصِلَ له فَعَلا به»، فقال أبو بكر: «أي رسول اللَّه بأبي أنت وأمي، واللَّه لَتدعَنِّي أعبرها»، فقال: «اعْبُرْها»، فقال: «أما الظُّلَّة فظلة الإسلام، وأما ما ينظف من السمن والعسل فهذا القرآن لينه وحلاوته، وأما المستكثر والمستقل، فهو المستكثر من القرآن والمستقل منه، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض، فهو الحق الذي أنت عليه فأخذتَ به فيُعْلِيكَ اللَّه، ثم يأخذ به بعدك رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ بعده رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ آخر فينقطع به، ثم يوصل فيعلو به، أي رسول اللَّه لتحدثني أصبتُ أم أخطأت؟»، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أصبتَ بعضًا، وأخطأتَ بعضًا»، قال: «أقسمت- بأبي أنت وأمي- يا رسول اللَّه لتخبرني ما الذي أخطأت؟»، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا تقسم»، رواه البخاري (٤٣١/١٢- فتح)، ومسلم (٢٢٦٩)، وأبو داود (٤٦٣٢)، والترمذي «صحيح الترمذي: ٢٤٠٩»، واللفظ له.

(٢) «جولة في رياض العلماء» ص(١٠٧- ١١٠) بتصرف.

نماذج واقِعِيَةٌ مِن انحِرَافِ النَّاسِ في التَّعَامُلِ مَعَ المَنَامَاتِ

* دِمَاءُ المُسْلِمِينَ لَا تُسْفَكُ بِالأَحْلَامِ:

حكى الحسن بن قحطبة قال: (اسْتُؤْذِن لشَرِيك بن عَبْدِ اللَّهِ القاضي على المهدي وأنا حاضر، فقال: «علي بالسيف»، فأُحْضِرَ.

قال الحسن: فاستقبلني رِعْدَةٌ لم أملكها، ودخل شَرِيْكٌ فسلَّم، فانتضى المهدي السيفَ، وقال: «لا سَلَّمَ اللَّه عليك يا فاسقُ».

فقال شريك: «يا أمير المؤمنين، إن للفاسق علاماتٍ يُعرف بها: شرب الخمور، وسماع المعازف، وارتكاب المحظورات؛ فعلى أيِّ ذلك وجدتني؟».

قال: «قَتَلَنِي اللَّهُ إن لم أقتُلْكَ».

قال: «ولِمَ ذلك يا أمير المؤمنين، ودمي حرام عليك؟».

قال: «لأني رأيت في المنام كأني مقبل عليك أكلمك، وأنت تكلمني من قفاك، فأرسلت إلى المعبِّر، فسألته عنها، فقال: هذا رجل يطأ بساطك، وهو يُسِرُّ خلافك».

فقال شريك: «يا أمير المؤمنين، إن رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب - عليهما السلام -، وإن دماء المسلمين لا تُسْفَك بالأحلام»، فَنَكَّسَ المهدي رأسه، وأشار إليه بيده: أَنِ اخْرُجْ، فانصرف.

قال الحسن: فقمت فلحقته، فقال: «أما رأيت صاحِبَكَ وما أراد أن يصنع؟»، فقلت: «اسكت - للَّه أبوك - ما ظننت أني أعيش حتى أرى مثلك»[1].

(١) ذكره في «معالم في طريق طلب العلم» (ص٢٦٦، ٢٦٧) غير معزوٍّ، وانظر: «الاعتصام» (٢٦١/١، ٢٦٢).

* الرُّؤْيَا تَسُرُّ، وَلَا تَغُرُّ:

عن المَرُّوذي قال: أدخلتُ إبراهيم الحُصْري على أبي عبداللَّه - وكان رجلًا صالحًا، فقال: «إن أمي رأت لك منامًا، هو كذا وكذا، وذكرتِ الجنة»، فقال: «يا أخي، إن سهلَ بن سلامة[1] كان الناس يُخبرونه بمثل هذا، وخرج إلى سفك الدماء»، وقال: «الرؤيا تَسُرُّ المؤمنَ، ولا تَغُرُّه»[2].

وعن محمد بن يزيد قال: كانوا يرون لوهيب أنه من أهل الجنة، فإذا أُخْبِرَ بها اشتد بكاؤه، وقال: «قد خَشِيتُ أن يكون هذا من الشيطان»[3].

وعن مخلد بن الحسين: أن رجلًا قال للعلاء بن زياد: «رأيت كأنك في الجنة»؛ فقال له: «ويحك، أما وجد الشيطان أحدًا يسخر به، غيري وغيرَك»[4].

* لا يُطعَنُ في الرَّاوِي بِمُجَرَّدِ مَنَام:

روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» بإسناده عن أحمد بن محمد بن رشدين أن بعضهم رأى الشافعي في المنام، فقال له: «كَذَبَ عليَّ يونس بن عبدالأعلى في حديث الجَنَدِي.. ما هذا من حديثي، ولا حدَّثتُ به»[5]، عَلَّقَ الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه - في «الفتن والملاحم»[6]: «يونس بن عبدالأعلى من الثقات، لا يُطعَن فيه بمجرد منام».

(١) انظر خبره في «الكامل في التاريخ» لابن الأثير الجزري (٤٤٣/٥، ٤٤٤)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٢٤٧/١٠، ٢٤٨).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٢٧/١١).
(٣) «تلبيس إبليس» ص(٥٣٥).
(٤) «حلية الأولياء» (٢٤٥/٢).
(٥) «تهذيب الكمال» (٥٩٦/٦).
(٦) «نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم» (٤٥/١).

فإن قيل: روى مسلم في صدر كتابه «الصحيح» أن حمزة الزيات عرض على النبي - صلى الله عليه وسلم- في المنام أحاديث سمعها من أبان بن أبي عياش؛ فما عرف منها الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا شيئًا يسيرًا، خمسةً أو ستةً؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أن هذا الأثر ليس دليلًا من أدلة الشرع الشريف، ورائي المنام ليس بمعصوم واجب الاتباع.

الثاني: ما قاله القاضي عياض - رحمه الله تعالى -:

«هذا وأمثاله؛ استئناس، واستظهار على ما تقرَّر من ضعف أبان؛ لا أنَّه يُقطع بأمر المنام، ولا أنَّه تبطل بسببه سُنَّةٌ ثبتتْ، ولا تثبتُ به سنَّةٌ لم تثبتْ؛ وهذا بإجماع العلماء»[1] اهـ.

الثالث: أن الأثر ضعيف، وعلته: سويد بن سعيد[2]، ولا يقال: كيف يكون ضعيفًا؛ وقد رواه الإمام مسلمٌ في مقدمة صحيحه؛ لأن الجواب هو: ما قاله الإمام ابن القيم عن «مقدمة صحيح مسلم» بأنه: «...لم يشترط فيها، ما شرطه في الكتاب من الصحة؛ فلها شأن آخر، ولسائر كتابه شأن آخر، ولا يشك أهل الحديث في ذلك»[3].

---

(١) «صحيح مسلم» (١/١١٥ - نووي).

(٢) سويد بن سعيد، قال ابن حجر في «التقريب»، رقم (٢٦٩٠) -: «صدوق في نفسه، إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه؛ فأفحش فيه ابن معين القول». وقال الذهبي - في «الكاشف»، رقم (٢٢١٥)-: «كان يحفظ لكنه تغّير. قال البخاري: عمي فتلقّن، وقال النسائي: ليس بثقة». قال ابن حبان في «كتاب المجروحين» (١/٣٥٢): «يأتي عن الثقات بالمعضلات».

(٣) «كتاب الفروسية»، لابن القيم ص (٤٥).

*** تحقيق الأحاديث بالمنامات:**

يتم التمييز بين صحيح الأحاديث النبوية وضعيفها عند طائفة من الصوفية عن طريق رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- في المنام.

بل يتطرف ابن عربي إلى حد الزعم أنه يمكن نفي صحة ما ثبت من الأحاديث عند أهل الحديث بالمنامات، فقد قال: «... هذا هو الفرقان عند أهل الله بين الأمرين؛ فإنهم قد يرونه -صلى الله عليه وسلم- في كشفهم؛ فيصحح لهم من الأخبار ما ضعف عندهم بالنقل، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل...»[1].

وليس الأمر مقصورًا على تصحيح ما لم يثبت من الروايات، بل قد يروون بواسطة هذه المنامات أحاديث، لم يُسمَع بها قط، وهي من جنس الأحاديث التي لا زِمام لها، ولا خطام، وذلك: كدعوى الشعراني، أن أمين الدين إمام جامع الغمري (ت: ٩٢٩ هـ) روى له حديثًا بالسريانية. قال الشعراني: «ففهمتُ معناه؛ وهو قوله روى أنس بن مالك، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من واظب على النوم بعد صلاة الصبح؛ ابتلاه الله بوجع الجنب).

وكان بي وجع الجنب قبل ذلك، وما كنتُ أعرف سببه؛ فتركتُ النوم بعد الصبح؛ فزال عني الوجع»...[2].

ومن أمثلة ما لم يثبت من طريق النقل، ونصَّ الحفاظ على ضعفه؛ وصححه بعضُ الصوفية بطريق المنام، ما جاء عن أبي المواهب الشاذلي، أنه قال: «رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فسألته عن الحديث

---

(١) «الفتوحات المكية» (٤/٢٨).

(٢) «طبقات الشعراني الصغرى» ص (٦١).

المشهور: (اذكروا الله حتى يقولوا: مجنون)، وفي صحيح ابن حبان: (أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا: مجنون)[1]؟ فقال صلى الله عليه سلم: صدق ابن حبان في روايته، وصدق راوي: (اذكروا الله)، فإني قلتهما معًا، مرةً قلتُ هذا، ومرةً قلتُ هذا...»[2]

وقد يقع السؤال منهم على ما يَستشكلون فهمه من الأحاديث، كقول أبي الحسن الشاذلي: «سمعتُ الحديث الوارد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إنه ليُغَانُ على قلبي، فأستغفر الله في اليوم سبعين مرةً)[3]، فأشْكَلَ عليَّ معناه، فرأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو يقول: يا مبارك ذلك غَيْنُ الأنوار، لا غيْن الأغيار»[4].

(١) ورد الحديث بلفظ: «اذكرو الله ذكرًا يقول المنافقون: إنكم تراءون»، وقد رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٦٩/١٢)، رقم (١٢٧٨٦)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨٠/٣، ٨١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧٦/١٠): «فيه الحسن بن أبي جعفر الجفري، وهو ضعيف».
وورد أيضًا بلفظ: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون»، رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٦٨-٧١)، والحاكم (٤٩٩/١)، وابن حبان (١٣١/٢) رقم (٨٠٥)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند»، رقم(٩٢٥)، وابن عدي في «الكامل» (٩٨٠/٣)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٢١/٢)، رقم (١٣٧٦)، والحديث ضعيف من جميع طرقه، وانظر: «السلسلة الضعيفة» للألباني أرقام (٥١٥)، (٥١٦)، (٥١٧)، وكذا «تبييض الصحيفة» للشيخ محمد عمرو عبد اللطيف -رحمه الله تعالى- ص (٣٠، ٣١).
(٢) «طبقات الشعراني» (٧٥/٢، ٧٦).
(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٣/١٧-نووي)، وانظر شرحه للنووي (٢٤/١).
(٤) «لطائف المنن» ص (١٦١).

«الفراغ» من أسباب ظاهرة الاستغـراق في المنامـات

(ما أجمل الحادثة التي يذكرها المترجمون عن الإمام «عبدالقادر الجيلاني»- رحمه اللَّه- أنه كان نائمًا، فرأي نارًا عظيمة تتصاعد، ثم سمع منها صوتًا يقول له: يا عبدالقادر.. أنا ربك.. وقد أحللتُ لك ما حرمت عليك».

فقال الشيخ عبدالقادر وهو في المنام:

- «اخسأ يا عدو اللَّه!».

وعرف أنه الشيطان عرض له ليصده عن دينه؛ لأن الحرام لا يكون حلالًا أبدًا، كما أن النجاسة لا تكون طهارة أبدًا، فلا يتحول المحرَّم بشريعة اللَّه إلى حلال؛ لأن رجلًا رأى في النوم من يُحِلُّهُ له.

وإذا كُنَّا لا نقبل ونحن في اليقظة بكامل عقولنا وقوانا، من يُحَلِّلُ لنا الحرام، أو يُحَرِّمُ عَلَيْنَا الحلال.. فكيف نقبل ذلك في النوم حين يغيب إدراك الإنسان، ولا يعي ما حوله؟

إن الاشتغال بهذه الرؤى العابثة هو شأن الفارغين، فإذا فقد الناس العلم الصحيح، والتوجيه السليم، اتجهوا لمثل هذه الخرافات، يروون بها ظمأهم، وحاجتهم إلى الدين، ولذلك فإن لهذه الرؤى دلالة واضحة على مستوى الوعي، والفهم في المجتمع، خاصَّة في مجال «المرأة».

وليس الحل هو أن يَهُبَّ العلماء إذا سمعوا مثل هذه الأسطورة؛ ليبينوا كذبها، هذا- ولا شك- مطلوب، ولكن يَجِبُ أن نسبق الأحداث ونبذل جهودًا كافية لملء عقل المرأة والرجل بالعلم الصحيح، والعاطفة الحية.. **فالوقاية خير من العلاج.**

لعل من الملاحظ أن بعض «القُصَّاص» والوُعَّاظ يسردون كثيرًا من الأحلام في أحاديثهم، في الترغيب والترهيب. وربما كان هذا المنهج، منهج المبالغة في ذكر الرؤى ناتجًا عن قلة العلم بالنصوص الشرعية. وناتجًا عن فراغ فكري وعاطفي لدى هذا المتحدث أيضًا.

وصف يومًا أحد الشعراء حاله وحال أصحابه في السجن، فقال:

إلى اللَّهِ فِيمَا نَابَنَا نَرْفَعُ الشَّكْوَى ... فَفِي يَدِهِ كَشْفُ الضَّرُورَةِ والبَلْوَى
خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وإِنَّا لأَهْلُهَا ... فَلَسْنَا مِنَ الأَمْوَاتِ فِيهَا وَلَا الأَحْيَا
إِذَا جَاءَنَا السَّجَّانُ يَوْمًا لحاجَةٍ ... فَرِحْنَا وقُلْنَا: جَاءَ هذَا مِنَ الدُّنْيَا
ونَفْرَحُ بِالرُّؤْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا ... إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيَا
فَإِنْ حَسُنَتْ لَمْ تَأْتِ عَجْلَى وأَبْطَأَتْ ... وإِنْ قَبُحَتْ لَمْ تُحْتَبَسْ وَأَتَتْ عَجْلَى

يتحدَّثُون كثيرًا عن الرُّؤيَا، لماذا ؟

أولًا: للفراغ، فليس لديهم أحاديث، عن الوقائع والمستجدات ؛ لأنهم مَعْزُولُونَ لا يسمعونها، خاصة في الزمن الماضي، وليس لهم عمل يشغلهم، ويقضي على فراغهم، خاصة في الماضي- أيضًا.

وثانيًا: لأنهم في حال كرب، والرؤيا قد تكون مُبَشِّرَةً، تُشْعِرُ السجينَ بقرب خلاصه.

وربما كان في قصة يوسف- عليه السلام- وصاحبيه ما يُشِيرُ إلي أن السجين تحدث له الرؤيا، ويتحدث عنها، أكثر من غيره، خاصة وهو يعلم أن الأبواب كلها قد أُغْلِقَتْ، فيلجأ إلى اللَّه، ويَصْدُقُ معه، فيحدث له من صفاء القلب ما لا يحدث له فى غير سِجْنِهِ.

إنه لجدير بالداعية أن يقتصد في ذكر الرؤى والأحلام، فلا يجعلها لُحْمَةَ وعظه وسُدَاهُ، ولا يقيمها مقامَ الأدلة الشرعية.

كان -صلى الله عليه وسلم- كما في « الصحيح »، إذا صَلَّى الفجرَ، التفت إلى أصحابه، فقال: « هَلْ رَأَي أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا ؟ »[1].

لكنه -صلى الله عليه وسلم- حَدَّدَ فائدة الرؤيا بـ «التبشير»، وما في معناه - واللَّه أعلم- كالتحذير، أما التشريع فلا تشريع في يقظة ولا منام بعد موته - عليه الصلاة والسلام-.

وليس كل ما يراه الإنسان في المنام رؤيا، بل هناك «الحُلْم»[2]، وهو من الشيطان، وقد نَهَى النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يُخْبِرَ الإنسان بِتَلَاعُبِ الشيطان به في المنام[3].

وهناك حديث النفس، فَإِذَا شغل أمر من الأمور بال الإنسان تراءى له في المنام.

وقد يكون ما يراه بسبب اعتلال المزاج واختلاله، أو الشبع أو الجوع أو غيرهما.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧)، وانظر: «الفتح» (٤٣٩/١٢) وما بعدها.

(٢) عن أبي هريرة- رضي اللَّه عنه- قال: قال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «إذا كان آخر الزمان، لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا: أصدقهم حديثًا، والرؤيا ثلاثةٌ: رؤيا بشرى من اللَّه- عزَّ وجلَّ-، ورؤيا مما يحدِّث الإنسان نفسه، ورؤيا من تحزين الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فلا يحدِّث به، وليقم وليصلِّ، والقيدُ في المنام: ثباتٌ في الدين، والغُلُّ أكرهُهُ». (البخاري: ٣٥٦/١٢، ٣٥٩)، ومسلم (٢٢٦٣)، وانظر «شرح السنة» للبغوي: (٢٠٨/١٢).

(٣) عن جابر- رضي اللَّه عنه- قال: أتى النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- رجُلٌ وهو يخطب، فقال: يا رسول اللَّه، رأيت فيما يرى النائم البارحة كأن عُنقي ضربت، فسقط رأسي، فأتبعتُه، فأخذتُهُ، ثم أعدتُهُ مكانه، فقال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه، فلا يحدِّثن به الناس» أخرجه مسلم (٢٢٦٨)، وانظر: «شرح السنة» للبغوي (٢١٢/١٢).

وكان أحد الروائيين المشهورين يأكل أكلة ثقيلة، ثم ينام، فإذا استيقظ دوَّن ما رأي على شكل «رواية» أو قصة يتداولها الناس، ويتعجبون من خيال هذا الكاتب![1].

ومرة أخرى يجب التأكيد أن الداعية أو الواعظ لا يجدر به أن يَتَسَاهَلَ في حكاية الروايات الواهية، والموضوعة، والمشكوك فيها.. أن فلانًا رأى، وفلانًا رأى.. ورأى رجل صالح فيما يرى النائم.. ورأت امرأة صالحة.

وما يدرينا نحن عن صلاحها؟ وقد يكون الإنسان ظا[2]هرُهُ الصلاح، لكن فيه «غفلة الصالحين»، فيحدِّث بكل ما يسمع.

وفي « مقدمة صحيح مسلم » عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: «كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[3].

إن مما يؤخذ على بعض الدُّعَاة والمصلحين حَشْدَهِمْ لهذه الأقاصيص، وهذه الرؤى، والأحلام، وتوثيقهم لها، بدون تثبت، وعدم تقدير نوعية المخاطَبين، ومستوى عقولهم.

وخلاصة الأمر : ألَّا يستكثر الواعظ من سرد الرؤى، بل يجعلها كالمِلح، إن زاد ضَرَّ، وإن نقص ضر، على أن يكون وفق الضوابط التالية:

- لا يترتب عَلَيْهَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ وَلَا تَشْرِيعٌ.

- لَا تَكُونُ مُشْتَمِلَةً علَى تَهْوِيلٍ أَوْ مُبَالَغَةٍ يَأْبَاهَا العَقْلُ السَّلِيمُ، فَإِنَّ العُلَمَاءَ عَدُّوا المُبَالَغَةَ في الحَدِيثِ مِنَ الأَدِلَّةِ عَلَى وَضْعِهِ.. فَمَا بَالُكَ بِالرُّؤْيَا؟

(١) بل إن أقوى قصص الرعب في العالم: «فرانكشتاين»، و«دكتور جيكل ومستر هايد»، ثم «دراكيولا»، قد جاءت إثر أحلام رآها كاتبوها، كما يعترفون، كما في «الأحلام» لسمير عبده ص(١٣).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧٢/١).

- أَلَّا يُرْبَط إِيمانُ النَّاسِ بِهَا، بَلْ يُوَجَّهُونَ إلى الكِتَابِ والسُّنَّةِ، ويُرَبَّوْنَ على تَعْظِيمِهِمَا، والرُّؤْيَا لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ مُبَشِّرَةً أو مُحَذِّرَةً.

- أَلَّا يَتَسَرَّعَ في التَّوْثِيقِ في أُمُورٍ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ، وَلَا يُبَالِغَ في حُسْنِ الظَّنِّ بِمُحَدِّثِيهِ.

على أن يُشْرَحَ للناس الموقف الشرعي الصحيح من الرؤيا، وأنواع ما يراه الإنسان في المنام، وآداب الرؤيا.. إلخ). اهـ[1].

وعيد من كذب في منامه:

عن ابن عباس قال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «من تَحَلَّم بَحُلْمٍ لم يره، كُلِّف أن يعقد بين شَعيرتين، ولن يفعل»[2].

وعن ابن عمر أن رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- قال: «مِن أفرى الفِرى أن يُرِيَ عينَه ما لم تَرَ»[3].

❁ ❁ ❁

(١) «قضايا في المنهج» للشيخ سلمان العودة (ص١٩- ٢٣) بتصرف.

(٢) رواه البخاري في «التعبير» (٧٠٤٢) (٤٢٧/١٢)، وتحلَّم: تكلَّف الحلم، بأن زعم أنه رأى رؤيا في حال كونه كاذبًا في دعواه، قوله: ولن يفعل: لأن فتل إحداهما بالأخرى غير ممكن عادة، فهو يُعذَّب حتى يفعل ذلك، ولا يمكنه فعله، فيدوم عذابه.
قال المناوي - رحمه اللَّه -: «وإنما شُدِّد الوعيد على ذلك مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه؛ إذ قد يكون شهادة في قتل أو حَدٍّ؛ لأن الكذب في النوم كذب على اللَّه - تعالى-، لأن الرؤيا جزء من النبوة، وما كان من أجزائها فهو منه تعالى، والكذب على الخالق أقبح منه على المخلوق». اهـ. من «فيض القدير» (٩٩/٦).

(٣) رواه البخاري (٧٠٤٣) (٤٢٧/١٢)، وأفرى الفِرى: أعظم الكذبات. =

مَنَامَات في خِدمَةِ البِدَعِ والضَّلَالَاتِ

لقد جهد أهل البدع -لاسيما الصوفية- في الترويج لبدعهم عن طريق المنامات، وتسخيرها في تزكية علومهم وطرقهم.

- **قال أبو المواهب الشاذلي**: «رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقلت: يا رسول الله! إني متطفلٌ في علم التَّصوف، فقال -صلى الله عليه وسلم-: اقرأ كلام القوم؛ فإن المتطفل على هذا العلم؛ هو الوليُّ، وأما العالم به؛ فهو النجم الذي لا يُدرك»[1].

- **وقال ابن عربي**:

«إني رأيت رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- في مُبَشِّرةٍ- رؤيا- أُرِيتُهَا في العشر الأواخر من المحرم سنة (٦٢٧هـ) بمحروسة دمشق، وبيده كتاب، فقال لي: هذا كتاب (فصوص الحِكَم)، خذه، واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة للَّه ورسوله وأولي الأمر منا»[2].

= **واقعة طريفة**: جاء في هامش «البداية والنهاية» (١٢٠/١٣) أن أعرابيًّا جاء إلى «قان»، وقال له: رأيت في النوم أباك جنكيز خان، فقال لي: «قل لابني (قان) يقتل المسلمين»، وكان «قان» يميل إلى المسلمين، مخالفًا لأهل بيته، فسأل الرجل: «هل تعرف اللغة المغولية؟» فقال: لا، فقال الملك له: «أنت كاذب، لأن أبي ما كان يعرف من اللغات ودرس غير المغولية»، فأمر بضرب عنقه، وأراح المسلمين من كيده.

(١) «طبقات الشعراني» (٧٥/٢).

(٢) «فصوص الحِكم» ص(٤٧)- دار الكتاب العربي- بيروت- وليت شِعري كيف يُقر رسولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- كتابَ «فصوص الحكم» المليء بالضلالات كعقيدة الوحدة والاتحاد، وهو يزعم في هذا الكتاب صحة إيمان فرعون، وصحة عبادة قوم نوح عليه السلام، ويقول: «إن الذين عبدوا العجل ما عبدوا غير الله»، إلى غير ذلك من طاماته المخالفة لأصل الدين، ولذلك قال فيه الإمام ولي الدين أبو زرعة العراقي - رحمه اللَّه-: =

- **وزعم ابْنُ الفَارِضِ**:

أنه رأى رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- في المنام، فسأله- أي النبي- عن قصيدته التائية الكبرى، بِمَ سَمَّاهَا؟ فأجابه ابن الفارض بأنه سماها «لوائح الجَنان، وروائح الجِنان»، فقال له النبي: لا، بل سَمِّهَا «نظم السلوك».. ومن هنا كان الاسم عنوانًا على هذه القصيدة، اشْتُهِرَتْ به[1].

- **أما البوصيري صاحب «البردة» فيقول**:

«كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني خِلْطُ فالِجٍ[2] أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة، فعملتها، واستشفعت بها إلى اللَّه في أن يعافيني، وكررت إنشادها، وبكيت ودعوت، وتوسلت ونمت، فرأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فمسح

= «لا شك في اشتمال الفصوص المشهورة عنه على الكفر الصريح الذي لا شك فيه، وكذلك فتوحاته المكية، فإن صح صدور ذلك عنه، واستمر إلى وفاته، فهو كافر مخلد في النار بلا شك». اهـ. من «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» للعلامة برهان الدين البقاعي ص(١٣٥)، وقال فيه الذهبي: «إن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر». اهـ. من «سير أعلام النبلاء» (٤٨/٢٣)، وانظر نقد شيخ الإسلام ابن تيمية إياه في «مجموع الفتاوى» (١٢١/٢- ١٣٣)، و«مجموعة الرسائل والمسائل» (٦١/١-١٢٠)، وانظر هنا: ص(١١٢).

(١) «ابن الفارض» للدكتور محمد مصطفى حلمي ص(١٩٦)، وابن الفارض قال فيه العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل: «واعلم أن ابن الفارض من رءوس أهل الاتحاد». اهـ. من «تنبيه الغبي» ص(٥٦)، وفي القصيدة المشار إليها يناجي ابن الفارض ربه مخاطبًا إياه - تعالى، وتقدس- بضمير المؤنث، كما في «ديوان ابن الفارض» المكتبة الثقافية. بيروت ص(٣٢-٣٨)، قال البقاعي رحمه اللَّه: «قد صارت نسبة العلماء له- أي ابن الفارض- إلى الكفر متواترة تواترًا معنويًّا». اهـ. من «تنبيه الغبي» ص(٢١٧).

(٢) الخِلْطُ: ما خالط الشيء؛ وأخلاط الإنسان (في الطب القديم): أمزجته الأربعة، وهي: الصفراء (Choleric)، والبلغم (Phlegmatic)، والدم (Sanguinic)، والسوداء (Melancholic).
والفالِج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طولًا.

على وجهي بيده المباركة، وألقى عليَّ بردة، فانتبهت ووجدت فيَّ نهضة، فقمت، وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحدًا، فلقيني بعض الفقراء، فقال لي: أتريد أن تعلمني القصيدة التي مدحتَ بها رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-؟ فقلت: أيها؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها، وقال: واللَّه لقد سمعتها البارحة وهي تُنشد بين يدي رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، فرأيت رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، يتمايل[1] وأعجبته، وألقى على من أنشدها بردة[2]، فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك، وشاع المنام»[3].

وكيف يقر رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- هذه القصيدة وفيها طامَّات وغلوٌّ وابتداع وانحراف[4] عن هديه -صلى الله عليه وسلم- مما يأباه رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، وقد نهى -صلى الله عليه وسلم- أمته عن إطرائه بالغلو في مدحه -صلى الله عليه وسلم-.

(١) وهذا يذكرنا بحديث مكذوب فيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تواجد عند سماع أبيات حتى سقطت البردة عن منكبيه، وقال: «ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر المحبوب»، قال ابن تيمية- رحمه الله-: إن هذا الحديث كذب بإجماع العارفين بسيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأحواله». اهـ. من «مجموع الفتاوى» (١١/٥٩٨).

(٢) وهذا أيضًا محاكاة لما اشتهر أن كعب بن زهير- رضي الله عنه- لما أنشد قصيدته في مدح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعطاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بردته، يقول ابن كثير- رحمه الله تعالى-: «وهذا من الأمور المشهورة جدًّا، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكُتب المشهورة بإسنادٍ أرتضيه، فالله أعلم». اهـ. من «البداية والنهاية» (٤/ ٣٧٣).

(٣) «فوات الوفيات» لمحمد بن شاكر الكتبي (٢/٢٥٨).

(٤) انظر أمثلة ذلك في «نقد البردة» للشيخ عبد البديع صقر، و«حقوق النبي -صلى الله عليه وسلم- على أمته» للدكتور محمد خليفة التميمي ص(٦٧١- ٦٨١)، و«قوادح عقدية» ضمن «حقوق النبي -صلى الله عليه وسلم- بين الإجلال والإخلال»- إصدار المنتدى الإسلامي ص(١٧٧- ٢٠٠)، و«الانحرافات العقدية والعلمية» للزهراني (١/٣٥٩، ٣٦٠).

وقد غلا الناس في هذه القصيدة فزعموا أنها تُقرأ لتفريج الكربات، وتيسير العسير، وأن بعض أبياتها أمان من الفقر، وبعضها أمان من الطاعون[1].

بل اشترطوا لقراءتها الوضوء، واستقبال القبلة، والدقة في تصحيح ألفاظها وإعرابها، والعلم بمعانيها، إلى غير ذلك[2].

وتنافس أكثر من مائة شاعر في معارضتها، فضلًا عن المشطِّرين[3] والمخمِّسين والمربِّعين، وتجاوزت شروحها الخمسين شرحًا، فيها ما هو مُحلًّى بماء الذهب، وصار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن[4].

- إن من عادة الصوفية اختلاقَ القصص «الإرهابية» ؛ لترهيب الناس من مخالفتهم أو الإنكار عليهم:

قال النبهاني: «قال المناوي: قال لي فقيه عصره شيخنا الرملي: إن بعض المنكرين رأى أن القيامة قد قامت، ونُصِبَتْ أوانٍ في غاية الكِبَر، وأُغْلِيَ فيها ماء يتطاير منه الشرر، وجيء بجماعةٍ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فصُلِقوا فيه حتى تَهَرَّى اللحم والعظم، فقال: ما هؤلاء؟ قال: «الذين ينكرون على ابن عربي وابن الفارض»[5].

- الأمِيرُ بُرهَان نِظَام شَاه:

الذي تَشَيَّعَ وبالغ في ذلك، حتى إنه أمر الناس أن يسبوا الخلفاء الثلاثة- رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- في المساجد، والأسواق، والشوارع، وجعل

(١) «المدائح النبوية» لزكي مبارك ص(١٩٧).

(٢) «مقدمة ديوان البوصيري» ص(٢٩، ٣٠).

(٣) التشطير: هو أخذ الشاعر بيتًا لغيره، فيجعله لصدره عَجُزًا، ولعجزه صدرًا، مراعيًا تناسب اللفظ والمعنى بين الأصل والفرع، وخَمَّس الشِّعر: جعل كل قطعة منه خمسة شطور.

(٤) «قوادح عقدية في بردة البوصيري» ص(١٨٩).

(٥) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (٢/٢١٨) ط. دار صادر- بيروت.

الأرزاق السَّنِيَّة للسابين من خزانته، وقتل، وأسر خلقًا كثيرًا من أهل السنة والجماعة، وسبب ذلك على ما ذكره محمد قاسم الشيعي البيجابوري في «تاريخه»: «أن ولده عبدالقادر ابْتُلِيَ بمرض عسير، عجز الأطباء عنه، واستيأس الناس من حياته، وكان برهان شاه يبذل النقود والجواهر والأموال الطائلة فيه، فبَشَّرَهُ الشيخ طاهر[1] ذات يوم بشفائه، وعهد إليه أن يخطب للأئمة[2] في الجُمَعِ، والأعياد، ويروج مذهبهم في بلاده، فعاهده برهان شاه.

ورأى في تلك الليلة كأن رجلًا يقدم عليه، وستة رجال معه في جانبه الأيمن، وستة كذلك في جانبه الأيسر، وقيل له: (إن القادم هو سيدنا محمد رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، ومعه الأئمة من أهل البيت)، فَسَلَّمَ عليه برهان شاه، فقال له الرجل القادم: (إن اللَّه- سبحانه- قد شفى ولدك، فعليك أن تجتهد فيما أشار إليه ولدي طاهر)، ثم انتبه برهان شاه من نومه، فرأى أن ولده قد شفاه اللَّه- سبحانه- في تلك الليلة، فَتَلَقَّنَ من الطاهر مذهب الإمامية من الولاء والبراء، وتشيَّع، وتَشَيَّعَ أهل بيته، وخدمه نحو ثلاثة آلاف، وصار الطاهر مقضيَّ الأمر في ترويج مذهبه بأرض الدكن»[3].

(١) هو طاهر بن رضى الإسماعيلي القزويني الذي أمر بقتله إسماعيل بن الحيدر الصفوي سلطان الفرس، فخرج من بلاده، وقدم الهند، ثم استقدمه برهان شاه، وبنى له مدرسة يدرس بها، وكان يحضر دروسه العلماء كلهم، ويحضر برهان شاه أيضًا لميله إلى العلم، ويجلس عنده إلى آخر البحث، حتى إنه كان يحقن الماء في البطن، ولا يخرج من ذلك المجلس لقضاء الحاجة.

(٢) أي أئمة الرافضة الاثنى عشر.

(٣) «المختار المصون من أعلام القرون» (٨٤٦/٢)، وانظر: «فرق الهند» ص(٥٧٩، ٥٨٠).

- **عَصَا العَيدَرُوسِ:**

وفيما يلي قصة «منام» لوَّح به الشيخ عبدالقادر العيدروس في كتابه «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء»، ورفعها كعصا يهدد بها كل من ينكر على أبي حامد الغزالي، وعلى «إحيائه»؛ حيث قال:

«وذكر اليافعي أن أبا الحسن بن حرزهم الفقيه المشهور المغربي- كان بالغَ في الإنكار على كتاب (إحياء علوم الدين)- وكان مُطَاعًا مسموع الكلمة، فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ (الإحياء)، وهَمَّ بإحراقها في الجامع يوم الجمعة، فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع، فإذا هو بالنبي -صلى الله عليه وسلم- فيه، ومعه أبو بكر وعمر والإمام الغزالي قائم بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما أقبل ابن حرزهم قال الغزالي: (هذا خصمي يا رسول اللَّه، فإن كان الأمر كما زعم تُبْتُ إلى اللَّه، وإن كان شيئًا حصل من بركتك، واتباع سنتك، فخذ لي من خصمي)، ثم ناول النبي -صلى الله عليه وسلم- كتاب «الإحياء»، فتصفحه النبي -صلى الله عليه وسلم- ورقة ورقة، من أوله إلى آخره، ثم قال: (واللَّه إن هذا لشيء حسن).

ثم ناوله الصِّدِّيق - رضي اللَّه عنه -، فنظر فيه، فاستجاده، ثم قال: (نعم، والذي بعثك بالحق إنه لشيء حسن)، ثم ناوله الفاروق عمر - رضي اللَّه عنه -، فنظر فيه، وأثنى عليه، كما قال الصِّدِّيق، فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بتجريد الفقيه علي بن حرزهم عن القميص، وأن يُضْرَبَ ويُحَدَّ حدَّ المفتري، فجُرِّد وضُرِبَ، فلما ضُرِبَ خمسة أسواط تَشَفَّعَ فيه الصدِّيقُ - رضي اللَّه عنه -، وقال: (يا رسول اللَّه، لعله ظن فيه خلاف سنتك، فأخطأ في ظنه)، فَرَضِيَ الإمام الغزالي، وقبل شفاعة الصِّدِّيق، ثم استيقظ ابن حرزهم، وأثَرُ السياط في ظهره، وأعلم أصحابَهُ، وتاب إلى اللَّه عن إنكاره على الإمام الغزالي واستغفر، ولكنه بقي مدة طويلة متألمًا من أثر السياط»[1].

(١) «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء» ملحق بآخر «الإحياء»، وانظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٣١/٤، ١٣٢).

وهذا الحُلْم مما يُقطع ببطلانه، وكذبه ؛ وذلك لما تضمنه «الإحياء» من الضلالات والطامَّات[1]، وهو الذي يقول فيه الإمام أبو بكر الطُّرطوشي- رحمه اللَّه-: «شحن أبو حامد (الإحياء) بالكذب على رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، فلا أعلم كتابًا على بَسِيطِ الأرض أكثرَ كذبًا منه»[2]، ولذلك أفتى علماء الدولة المرابطية بتحريقه.

- ومن ذلك ما رواه ابن عساكر- رحمه اللَّه- بسنده إلى أبي الفتح الساوي : «أنه كان في المسجد الحرام، فغلبه النوم، فرأى عَرْصَةً[3] واسعة فيها ناس كثيرون واقفين، وفي يد كل واحد منهم كتاب مجلد، قد تحلقوا كلهم على رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، يَعْرِضُونَ أن يقرءوا عليه من كتبهم، إلى أن قال: فلما رأيت أن القوم قد فرغوا، وما بقي أحد يقرأ عليه شيئًا، تقدمت قليلًا، وكان في يدي كتاب مُجَلَّدٌ، فناديت، وقلت: (يا رسول اللَّه ، هذا الكتاب معتقدي، ومعتقد أهل السنة، لو أذنت لي حتى أقرأه عليك؟) فقال: (وأَيْشِ ذاك؟) قلت: (يا رسول اللَّه، هو «قواعد العقائد» الذي صَنَّفَهُ الغزالي)، فَأَذِنَ لي في القراءة، فقعدت وابتدأت، وقرأت عليه الكتاب)[4].

وليت شِعري كيف يمثل «قواعد العقائد» عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو كتاب مبني على المذهب الأشعري[5]، وقد شُحِن بأساليب علم الكلام الذي ذمَّه السلف، ونَفَّروا منه، وهو كتاب يحوم حول شرح صفات المعاني السبع: الحياة،

(١) راجع في بيانها مفصلة «أبو حامد الغزالي والتصوف» للشيخ عبد الرحمن دمشقية- ط. دار طيبة- الرياض.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٩/٣٢٨).

(٣) العَرْصَةُ: ساحةُ الدار، والبقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها.

(٤) انظر: «تبيين كذب المفتري» ص(٢٩٧- ٢٩٩).

(٥) انظر: «الأشاعرة في ميزان أهل السنة» لفيصل الجاسم، المبرة الخيرية- الكويت، «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» للدكتور عبد الرحمن المحمود - مكتبة الرشد - الرياض .

والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، كما أنه مُشْتَمِلٌ على الجوهر، والعَرَض، ونحوهما من عبارات المتكلمين المبتدعة، فما كان هذا شأنه يستحيل أن يرضى عنه أو يقبله رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-.

- ومن ذلك قول أبي المواهب الشاذلي: «رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال لي: إذا كانت لك حاجة وأردت قضاءها، فانذر لنفيسة[1] الطاهرة، ولو فِلْسًا؛ فإن حاجتك تُقضى»[2].

وساق الحِصْني (ت: ٨٢٩ هـ) قصة عن رجل من أهل طرابلس، كان في مركب قادمًا من الإسكندرية؛ فهاج البحر، وأشرف مَن في المركب على الهلاك، فقال لهم ذلك الرجل: استغيثوا برسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ ففعلوا، فنام رجل منهم، مشهور بالصلاح؛ فرأى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو يقول له: «انج، وأبشروا بالسلامة»[3].

❁ ❁ ❁

(١) نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، صاحبة المشهد المعروف بمصر، توفيت سنة ٢٠٨هـ. قال ابن كثير: «... وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيرًا جدًا، ولا سيما عوام مصر؛ فإنهم يطلقون فيها عبارات بشعة، مجازفة؛ تؤدي إلى الكفر والشرك، وألفاظًا ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز.... والذي ينبغي أن يُعتقد: ما يليق بمثلها من النساء الصالحات. وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بتسوية القبور وطمسها. والمغالاة في البشر حرام. ومن زعم أنها تفك من الخشب، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله؛ فهو مشرك...». البداية والنهاية (١٠/٢٧٤).

(٢) «طبقات الشعراني» (٢/٧٤).

(٣) انظر: «دفع شُبه من شبَّه وتمرد» ص (٩١).

أضرِحَةُ المنَامَاتِ.. والمَزَارَات المُزَوَّرَات

تُوجَدُ في كثير من بلاد العالم الإسلامي مقابر وهميةٌ يُزْعَمُ أنها مقابرُ لأولياءَ صالحين، ويَرْجِعُ الفضل في بنائها إلى «رُؤًى منامية» ؛ إذ يكفي عند القوم أن يَدَّعِيَ مُدَّعٍ أنه رأى رؤيا تُكَلِّفُهُ ببناء قبر أو قبة فوق المكان الفلاني ؛ ليصبح مزارًا لأحد الأولياء.

ومن أشهر أضرحة الرؤيا: مشهد السيدة رقية بنت رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- بالقاهرة، أقامته زوجة الخليفة العبيدي الآمر بأحكام اللَّه[1]، **وكذا** ضريح السيدة سُكَيْنَة بنت الحسين بن علي- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-[2].

ومنها: القبر المنسوب إلى زينب بنت علي- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما- بالقاهرة، فإنه كذب لا أصل له، ويقال: إن موضعه كان ساقية، فلما رأى صاحبها أنها لا تُغِلُّ له مع التعب إلا اليسير، زعم للناس: أنَّهُ رأى زينب في المنام، تأمره أن يُقِيمَ لها قبة في هذا المكان ؛ فأقامها، وأعانه العوام، ثم كان سادنًا لها، فجاءته الأموال الكثيرة[3].

ولم يكن قبر النبي شيث معروفًا قبل القرن الحادي عشر للهجرة، حيث رأى أحد ولاة الموصل في ذلك القرن منامًا يدل على موضع القبر، فبنى الضريح، ثم بُني عليه جامع كبير[4].

---

(١) «الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي» لمصطفى عبد اللَّه شيحة ص(١٤٣).

(٢) «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (١/١٠٢).

(٣) «صراع بين الحق والباطل» ص(١١١).

(٤) «الانحرافات العقدية والعلمية» (١/٢٨٤، ٢٨٥).

وكان الناس يؤمون ضريحًا في شرق الجزائر، ويتبركون بأعتابه، ثم اكتشفوا أن هذا القبر كان لراهبٍ نصراني، ولم يصدق الناس ذلك حتى عثروا على الصليب في القبر[1].

وفي اللاذقية حضرة يُقال إنها مدفن الفرس التي كان يركبها الولي المغربي، لا تزال حتى اليوم تُزار وتُبَخَّر[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه اللَّه تَعَالَى-: «حدثني بعض أصحابنا أنه ظهر بشاطئ الفرات رجلان، وكان أحدهما قد اتخذ قبرًا تُجْبَى إليه أموال ممن يزوره، ويُنْذَرُ له من الضُّلَّال، فعمد الآخر إلى قبر، وزعم أنه رأى في المنام أنه قبر عبدالرحمن بن عوف، وجعل فيه من أنواع الطيب ما ظهرت له رائحة عظيمة»[3].

وقال شيخ الإسلام: «وغالب ما يَسْتَنِدُ إليه الواحد من هؤلاء: أن يَدَّعِي أنه رأى منامًا، أو أنه وجد بذلك القبر علامة تدل على صلاح ساكنه: إما رائحة طيبة، وإما توهم خرق عادة ونحو ذلك، وإما حكاية عن بعض الناس: أنه كان يُعَظِّمُ ذلك القبر.

فأما المنامات فكثير منها- بل أكثرها- كذب، وقد عرفنا في زماننا بمصر، والشام، والعراق من يَدَّعي أنه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع أنه قبر نبي، أو أن فيه أثر نبي، ونحو ذلك، ويكون كاذبًا، وهذا الشيء مُنْتَشِرٌ، فرائي المنام غالبًا ما يكون كاذبًا، وبتقدير صِدْقِهِ: فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطان، والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صِحَّتِهَا لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق ؛ فإنه قد ثَبَتَ في « الصحيح » عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه

---

(١) «نفسه» (١/٢٩٠).

(٢) «مشكلات الجبل في ضوء الإسلام» ص(١٣٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٥٩).

قال: (الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: رُؤْيَا مِنَ اللَّهِ، ورُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ المَرْءُ نَفْسَهُ، ورُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ).

فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة، فلابد من تمييز كل نوع منها عن نوع»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «نفسه» (٢٧/٤٥٧، ٤٥٨).

هذه الظَّـاهِرَةُ.. إلى متى؟

تقول الرواية: «مرضت فتاة مرضًا شديدًا أعيا الأطباء، وفي ذات ليلة بكت حتى جاءها النوم، وهي على تلك الحال، فرأت أم المؤمنين زينب، فوضعت في فمها شيئًا من القطران، وطلبت منها أن تكتب أذكارًا معينة ثلاث عشرة مرة، وتطلب من الناس أن يكتبوها، فلما استيقظت الفتاة وجدت نفسها قد شُفِيَتْ من المرض تمامًا، وقامت بكتابة الورقة ثلاث عشرةَ مرة، ووزعتها، فحدث التالي:

- **أول ورقة**: وقعت في يد رجل فقير فكتبها ثلاث عشرة مرة، ووزعها، فجاءته أموال طائلة بعد ثلاثة عشر يومًا.

- **والورقة الثانية**: وقعت في يد غني، فمزقها، فذهبت أمواله كلها بعد ثلاثة عشر يومًا.

- **والورقة الثالثة**: وقعت في يد رجل على رأس عمل كبير، فسخر منها، ففُصِلَ من العمل بعد ثلاثة عشر يومًا.

تقول الرواية: فعليك أخي المسلم، أختي المسلمة، أن تقوموا بكتابة هذه الورقة، وتوزيعها؛ لتنالوا من اللَّه كل ما تحبون في إرادته».

- **ويعلق الشيخ سلمان العودة على هذه «الخرافة» قائلًا:**

(إنه نوع من «الإرهاب الفكري» المدمِّر.

لا تستخدم عقلك، ولا تناقش؛ لئلا يصيبك ما أصاب هؤلاء، واحذر أن تمزق تلك الورقة «الأسطورة»؛ لئلا تفقد عملك، أو تفقد مالك.. وربما تفقد دينك- هكذا يزعمون-.

إن الوحي قد انتهى فلا يتنزل على أحد بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-،

ومع ذلك؛ فإن من المسلمين من يشرِّعون تشريعات جديدة، لم ترد في الوحي، ويُحَذِّرون من يخالفها بالعقاب والعذاب، ويُبَشِّرونَ من يفعلها بالتوفيق..

فكيف تنطلي هذه الألاعيب السخيفة على مسلم قرأ في التنزيل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

إننا نعلم يقينًا أن الإنسان قد يترك أعظم شعائر الدين العملية- وهي الصلاة- ومع ذلك يظل مرزوقًا معافى في دنياه؛ لأن الدنيا ليست دار جزاء ولا حساب، والأصل أن الجزاء والحساب في الآخرة، بل نجد قومًا كفَّارًا لا يؤمنون باللَّه، ولا باليوم الآخر، ومع ذلك: وَسَّعَ اللَّه عليهم في الرزق، وأعطاهم من العلم المادي، والحضارة المادية، ما لم يُعْطِ غيرهم.

فالدنيا دار بلاء، وليست دار جزاء.

فكيف يأتي من يستخف بعقول بعضنا، ويزعم أن من لم يَفْعَلْ كذا أصابه بعد أيام معدودة ما يكره، ومن فعله لَقِي ما يحب؟!

وهذا الفعل المطلوب ليس واجبًا، ولا مُسْتَحَبًّا، بل ولا مباحًا، إنما هو بدعة منكرة، وخرافة غليظة.

ثم لنتساءل: هل هذه الكتابة «عبادة»، أم أنها «عمل دنيوي محض»؟

فإذا كانت عبادة، فهي مردودة؛ لأن الإنسان أراد بها الدنيا، وحفظ المال، والوظيفة، والصحة، ولم يُرِدْ بها وجهَ اللَّه- تَعَالى-.

وإذا كانت عَمَلًا دنيويًّا فهي- أيضًا- مرفوضة؛ لأنها ليست من الأسباب المادية، والذي يُرِيدُ المحافظة على الوظيفة عليه ألَّا يتأخر عن وقت الدوام، وأن يؤدي مسئولياته، وأن يُحْسِنَ استقبال المراجعين، ويبني علاقته مع رؤسائه على أساس صحيح.

وهكذا حفظ المال والصحة وغيرهما له أسبابه المادية المعروفة، وليس هذا العمل منها بحال.

ثم لماذا رقم (١٣) ؟

لقد جاء في الشرع الذكر مرة واحدة، وثلاث مرات، وسبع مرات، وعشر مرات، ومائة مرة، أما ثلاثَ عشرةَ مرة فليس لذلك نظير في الشرع مطلقًا؟

وأخيرًا: من الذي يَرْوِي هذه الأكذوبة الملفَّقة المخترعة؟

فتاة مريضة؟ ومن هي؟ ومن يقول إنها صادقة؟ ومن يروي عن هذه الفتاة؟ إنها روَايَةٌ مسلسلة بالمجهولين، والكذَّابين، والأفَّاكين، وهؤلاء لا تُقْبَلُ شهادتهم على « بَصَلَة » فما دونها، فكيف تُقْبَلُ روايتهم في أمر كهذا؟!

وحتى لو كان الرواة من أساطين الثقات، فإنهم إذا حدَّثوا بمثل هذا الكذب البواح سقطت عدالتهم، وذهبت الثقة بهم، وتُرِكُوا، ووجب ردعهم وتعزيرهم، ومنعهم من التغرير بعقول السُّذَّج والبُلْهِ، واللَّه المستعان، وأنَّى لأساطين الثقات أن يحدثوا بمثل هذا؟!)[1]. اهـ.

ونظير هذه الرواية ما يشيع من وقت إلى آخر من أن فتاة رأت رسول اللَّه - صلى الله عليه وسلم- في المنام، وقال لها: «إن الساعة ستكون قريبًا، وعلامة ذلك أن تفتحي مصحفًا قديمًا فتجدي فيه شعرة»، فترى الناس يُهْرَعُون إلى فحص مصاحفهم للتفتيش عن الشعرة المزعومة!

❁ ❁ ❁

(١) «قضايا في المنهج» ص(١٥- ١٨) بتصرف.

رُؤيَة رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- في المَنَامِ

قد يظُنُّ بعض الناس أن هناك نوعًا من الرؤيا لا يحتاج إلى تبين، فهي عندهم صادقة أبدًا، وهي رؤية رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- في المنام، ولا شَكَّ أن رؤيا الرسول -صلى الله عليه وسلم- حقٌّ وصدقٌ؛ وذلك لما ثبت من قوله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَرَايَا بِي»[1]، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «من رآني فإني أنا هو، فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي»[2] وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ رَآنِي في المنامِ فَسَيَرَانِي في اليَقَظَةِ- وفي روايةٍ عند مسلم: «أو: لكأنما رآني في اليقظة»-، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»[3]، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ رَآنِي في المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي للشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ في صُورَتِي»[4].

ولكن ينبغي أن نَعْلَمَ أن رُؤْيَا الرسول -صلى الله عليه وسلم- تكون حقًّا إذا كانت الصورة المرئية له هي صورته الحقيقية التي كان عليها، والتي جاء

---

(١) رواه من حديث أبي قتادة- رضي اللَّه عنه-: البخاري (٦٩٩٦) (١٢/٣٨٣)، ومسلم (٢٢٦٧)، ومعنى: «لا يَتَرَايَا بي»: لا يظهر في زِيِّي، وفي رواية أبي سعيدٍ الخدري- رضي الله عنه-: «فإن الشيطان لا يتكوَّنني» أي: لا يتكون في صورتي، كما قال الحافظ في «الفتح» (١٢/٣٨٣).

(٢) رواه من حديث أبي هريرة- رضي اللَّه عنه-: الترمذي (٢٢٨٠)، وهو في «صحيح سنن الترمذي» برقم (١٨٥٩).

(٣) رواه من حديث أبي هريرة- رضي اللَّه عنه-: البخاري (٦٩٩٣) (١٢/٣٨٣)، ومسلم (٢٢٦٦) (١١).

(٤) رواه من حديث جابر- رضي اللَّه عنه-: الإمام أحمد (٣/٣٥٠)، ومسلم (٢٢٦٨) (١٢)، وابن ماجه (٣٩٠٢).

وصفها في الأحاديث الصحيحة، فإنها هي الصورة التي لا يتمثل بها الشيطان، أما إذا رُؤِيَ بصورة غير صورته، وزعمت الصورة المرئية أنها الرسول، فالأمر ليس كذلك، فالممنوع أن يَتَمَثَّلَ الشيطان في الصورة الحقيقية للرسول -صلى الله عليه وسلم-، أما أن يزعم الشيطان أنه الرسول، وقد تَمَثَّلَ في صورة غير صورة الرسول، فهذا أمر لم ينفِهِ الحديث.

إذن هناك فرق كبير بين أن يقول: «من رآني»، وبين: «من رأى شخصًا يدعي أنه أنا»، أو«من رأى شخصًا، وظن أنه أنا»، فإن قوله -صلى الله عليه وسلم-: «من رآني» يعني رؤيته -صلى الله عليه وسلم- بشكله، وصورته التي كان عليها.

وهناك فرق- أيضًا- بين قوله -صلى الله عليه وسلم-: «فإن الشيطان لا يتمثل بي»، وبين: «فإن الشيطان لا يدعي أنه أنا»؛ فالأولى تعني أن الشيطان لا يستطيع أن يتراءى بصورة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وشكله الذي كان عليه في حياته؛ بحيث لو رآه أحد الصحابة- رضِيَ اللَّهُ عنهم- لعرفه -صلى الله عليه وسلم-.

إن الشيطان ممنوع من أن يتمثل بشخص النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكن ليس ممنوعًا من أن يقول: «أنا رسول اللَّه»، ويكون في صورة غير صورته -صلى الله عليه وسلم-.

قال الحافظ ابن حجر- رحمه اللَّه-: (وقوله: «لا يستطيع أن يتمثل بي» يشير إلى أن اللَّه- تعالى- وإن أمكن الشيطان من التصور في أي صورة أراد؛ فإنه لم يُمَكِّنه من التصور في صورة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا في الحديث: إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها)[1].

---

(١) «فتح الباري» (١٢/٣٨٦).

وقال العلَّامة ابن مفلح المقدسي - رحمه اللَّه -:

(قال أهل العلم: إنما تصح رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- لأحد رجلين:

أحدِهما: صحابي رآه يعلم صفته؛ فإنه إذا رآه في المنام جزم بأنه رأى مَثَلَه المعصوم من الشيطان.

وثانيهما: رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب، حتى انطبعت في نفسه صفاته -صلى الله عليه وسلم-، وأما غير هذين فلا يحصل الجزم؛ بل يجوز أن يكون من تخييل الشيطان، ولا يُفيده قول المرئي: «أنا رسول اللَّه»، ولا قولُ من يحضر: «هذا رسول اللَّه»، لأن الشيطان يكذب لنفسه، ويكذب لغيره، فلا يحصل الجزم)[1].

وروى الترمذي في «الشمائل» عن عوف بن أبي جميلة، عن يزيد الفارسي- وكان يكتب المصاحف- قال: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في المنام زمن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما-، فقلت لابن عباس: «إني رأيت رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- في النوم»، فقال ابن عباس: إن رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: «إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي، فمن رآني في النوم فقد رآني»، هل تستطيع أن تنعت هذا الرجل الذي رأيته في النوم؟ فقال: نعم، أَنْعَتُ لك رجلًا بين الرجلين، جسمه ولحمه أسمر إلى البياض، أكحل العينين، حسن الضحك، جميل دوائر الوجه، قد مَلَأَت لحيته ما بين هذه إلى هذه، قد ملأت نحره، قال عوف: ولا أدري ما كان هذا النعت.

فقال ابن عباس: «لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا»[2].

---

(١) «مصائب الإنسان من مكائد الشيطان» ص(١٧٢).

(٢) «الشمائل» للترمذي رقم (٤١٢)، وحسَّنه الألباني- رحمه الله-.

وروى الحافظ في «الفتح» (من طريق إسماعيل بن إسحاق القاضي، عن سليمان بن حرب- وهو من شيوخ البخاري- عن حَمَّاد بن زيد، عن أيوب قال: «كان محمد- يعني ابن سيرين- إذا قَصَّ عليه رجل أنه رأى النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: «صِفْ لي الذي رأيته»، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: «لم تَرَهُ»، وسنده صحيح). اهـ[1].

وعن عاصم بن كُليب قال: حدثني أبي؛ أنه سمع أبا هريرة - رضي اللَّه عنه -يقول: قال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثلني»، قال أبي: فحدثت به ابن عباس، فقلت: قد رأيتُه - أي النبي -صلى الله عليه وسلم- في المنام - فذكرتُ الحسنَ بنَ علي - رضي اللَّه عنهما- فقلت: شبَّهْتُه به، فقال ابن عباس- رضي اللَّه عنهما-: «إنه كان يُشبهه»[2].

- فمِن ثم قال الحافظ - رحمه اللَّه-: «قال علماء التعبير: إذا قال الجاهل: (رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم-)؛ فإنه يُسأل عن صفته، فإن وافق الصفة المروية؛ وإلا فلا يُقبل منه». اهـ[3].

(وقصة الشيخ عبدالقادر مع الشيطان معروفة، وذلك حين قال له الشيطان: «أنا ربك، قد أبحتك من فرائضي»، فقال له الشيخ: «اخْسَأْ يا عدو اللَّه»، فقال الشيطان: «غَلَبْتَنِي بفقهك يا عبدالقادر»، فَسُئِلَ عن كيفية وقوفه على خُدْعَةِ الشيطان، فقال: إن الشيطان قال: «أنا ربك»، ولم يجرؤ على أن يقول: «أنا اللَّه»، وزعم أنه قد أَحَلَّنِي من فرائض العبادات، واللَّه- عَزَّ وجَلَّ- لم يُحِلَّ ذلك لنبيه -صلى الله عليه وسلم-، فكيف يحلها لي؟

---

(١) «فتح الباري» (١٢/٣٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» رقم (٤١١)، والحاكم (٤/٣٩٣). وصححه، ووافقه الذهبي، وجوَّد إسناده الحافظ في «الفتح» (١٢/٣٨٤)، وصححه الألباني.

(٣) «فتح الباري» (١٢/٣٨٧).

فإذا كان يُمْكِنُ للشيطان أن يقول: أنا ربك؛ ألا يمكنه أن يقول «أنا النبي»، من غير أن يتمثَّل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بالضرورة)[1].

إن رؤياه -صلى الله عليه وسلم- في المنام آمرًا بشيء، أو ناهيًا عن آخر، أو مظهرًا حبه لأمر أو شخص أو طائفة، أو مبديًا كراهته وسخطه على فرد أو جماعة، أو موقف أو عمل- كل ذلك لا يؤخذ به، ولا يثبت بمثله حكم شرعي من وجوب أو استحباب أو تحريم أو كراهة أو إباحة، أو ولاء أو براءة أو عداوة، وإنما يعرض ما يكون من ذلك على الشريعة الثابتة المعصومة، فإن وافقها فبها ونعمت، وتكون الحجة هي الشريعة، أما الرؤيا فللتأنيس فقط[2].

فائـــدة:

قال الشيخ الأمين بن محمد المحجوب الضرير في رسالته «هدى المستهدي إلى بيان المهدي والمتمهدي»: «من رأى أحدًا من الأنبياء، وهو يأمره بما يخالف الشريعة؛ يكون ذلك نهيًا له وزجرًا وتهديدًا، وذلك لقوله صلى اللَّه عليه وسلم: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، فإن ذلك ليس بأمر فعل، وإنما هو تهديد»[3].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» ص(٣٩٤).
(٢) انظر: «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية» لصادق سليم صادق ص(٣١٠- ٣٢٦).
(٣) نقله عنه في «الخصومة في مهدية السودان» ص(٢٨٥).

اعتداد الصوفية بالمنامات، ولو خالفت الشريعة

عوَّل الصوفية كثيرًا على الرؤى المنامية، واعتدوا بها، ولو خالفت الشريعة الظاهرة، ولذلك أفردوا لها أبوابًا في كتب الطريق كما فعل القشيري في «رسالته»، والكلاباذي في «التعرُّف»، وغيرهما.

ولذلك أشار إليهم الشاطبي في «الاعتصام» قائلًا: «وأضعف هؤلاء احتجاجًا؛ قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا، وأعرضوا بسببها؛ فيقولون: (رأينا فلانًا الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا).

ويتفق مثل هذا كثيرًا، للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: (رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم-، في النوم، فقال لي: كذا، وأمرني بكذا)؛ فيعمل بها، ويترك بها؛ مُعرضًا عن الحدود الموضوعة في الشريعة...»اهـ[1].

ومن أقوال الصوفية الواردة باعتبار المنامات، قول أحمد بن إدريس: «... من رأى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فقد رآه حقًّا؛ وإن كان على غير صورته... وإذا أمره، أو نهاه عن نهي؛ فإن كان في الصورة المنعوت بها -صلى الله عليه وسلم-: فما أمره به في النوم؛ كأمره في اليقظة؛ وأنه يُتَّبع؛ وكذلك ما نهى عنه...»[2].

ويذهب ابن عربي إلى الأخذ بالمنام في بعض الأحوال؛ ولو تضمَّن نسخَ حكم ثابت بالنص؛ فيقول: «المُبشِّرَات؛ وهي جزءٌ من أجزاء النبوة؛

(١) «الاعتصام» (١/٢٦٠).
(٢) انظر: «سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين» ص (٤٦٩).

فإما أن تكون من الله إليه، أو من الله على يدي بعض عباده إليه؛ وهي الرؤيا يراها الرجل المسلم، أو تُرى له. فإن جاءته من الله في رؤياه، على يدي رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فإن كان حُكْمًا: تعَّبد نفْسَه به؛ ولا بُدَّ؛ بشرط أن يرى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، على الصورة الجسدية التي كان عليها في الدنيا، كما نُقل إليه من الوجه الذي صحَّ عنده؛ حتى إنه إن رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: يراه مكسور الثَّنيَّة العليا؛ فإن لم يره بهذا الأثر؛ فما هو ذاك. وإن تحقَّق أنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ورآه شيخًا، أو شابًّا،؛ مغايرًا للصورة التي كان عليها في الدنيا، ومات عليها... فذلك كله الحق الذي جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ما هو رسول الله، فيكون ما رآه هذا الرائي: عين الشرع... فإذا جاءه بحُكْم في هذه الصورة؛ فلا يأخذ به؛ إن اقتضى ذلك نسخ حكم ثابت بالخبر المنقول الصحيح، المعمول به؛ بخلاف حُكْمه لو رآه على صورته؛ فيلزمه الأخذ به، ولا يلزم غيره ذلك» اهـ[1].

ومن الأمثلة على عملهم وتعويلهم على المنامات، ما أورده الكلاباذي، عن محمد بن علي الكتاني، أنه كانت عادته أن يرى الرسول -صلى الله عليه وسلم- في المنام، ويسأله عن مسائل؛ فيجيبه عليها[2].

(١) «الفتوحات المكية» (٤/٢٧، ٢٨).

(٢) انظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف» ص(١٨١، ١٨٢).

استطراد

فيه ذكرُ نَمَاذِجَ مِن الاستِغلَالِ السَّيِّئِ لِمَا يُزعَمُ مِن رُؤيَةِ النبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- في المَنَامِ

وإن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قول الشعراني في «مختصره لتذكرة القرطبي»:

فقد حكى اختلافَ الناس في موضع رأس الحسين - رضي اللَّه عنه - وحكى قول القرطبي: إن أصح ما قِيلَ فيه: إنَّهُ دُفِنَ بالبقيع عند قبر أمه، فاطمة- رَضِيَ اللَّهُ عنهما- ثم قال: «وبه قال الزبير بن بَكَّار الذي هو أعلم بالأنساب، قال القرطبي- رحمه اللَّه- تعالي-: وما ذُكر أنه في عسقلان في مشهد هناك، أو بالقاهرة، فشيء باطل لا يصح، ولا يثبت»[1].

ثم قال الشعراني: (ومما وقع لي أنني قلت لسيدي الشيخ شهاب الدين بن شلبي الحنفي مفتي المسلمين - رضي اللَّه عنه -:

«أترى أن تزور معنا رأس الحسين في المشهد بخان الخليلي ؟ فقال: إنه لم يثبت كون الرأس هناك»[2]، قلت له: «نزوره بالنية على تقدير صحة ذلك»، فقال: «نعم»، فلما دخلنا مقصورته بالمشهد، قلت للشيخ: «اجلس مراقبًا بقلبك

(١) «التذكرة» ص(٦٦٧، ٦٦٨).

(٢) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى: «بل المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي- رضي اللَّه عنهما- الذي بالقاهرة كذب مختلق، بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم، الذين يرجع إليهم المسلمون في مثل ذلك لعلمهم وصدقهم». اهـ. من «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٥١)، وقال أيضًا: «فأصل هذا المشهد القاهري: هو ذلك المشهد العسقلاني، وذلك العقسلاني مُحدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة وثلاثين سنة، وهذا مما لم يتنازع فيه اثنان ممن تكلم في هذا الباب من أهل العلم، وهذا بينهم مشهور متواتر». اهـ. «نفسه» (٢٧/٤٥٦).

للرأس»، فجلس متخيلًا لها في ذهنه، فحصل له ثِقَلُ رأسٍ، فنام، فرأى نقيبًا مشدود الوسط، قد خرج من القبر، فما زال بصره يتبعه حتى دخل مقصورة رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، وقال له: «يا رسول اللَّه إن الشيخ شهاب الدين بن الشلبي، وعبدالوهاب الشعراني- يزوران رأس ولدك الحسين»، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «تَقَبَّل اللَّه منهما». انتهى، فاستيقظ الشيخ شهاب الدين، وتواجد حتى وقعت عمامته من فوق رأسه، وقال: «آمنت وصدقت بأن الرأس هنا»، وحكى الواقعة، ولم يزل يزوره حتى مات، فزر يا أخي هذا المشهد بالنية الصالحة إن لم يكن عندك كشف[1]. فقول الإمام القرطبي- رحمه اللَّه-: «إن دفن الرأس في مصر باطل» صحيح في أيام القرطبي؛ فإن الرأس إنما نقلها طلائع بن رُزِّيك بعد موت القرطبي[2]، فافهم، واللَّه- تعالى- أعلم)[3]. اهـ.

وقال خادم شيخ الإسلام ابن تيمية إبراهيمُ بن أحمد الغياني[4] -رحمه اللَّه-:

«ورأيت رجلًا من أهل القاهرة جاء إلى الشيخ بالقاهرة بعد مجيئه من إسكندرية، فقال له: «إن أبي حدثني عن أبيه أن هذا المشهد بناه بنو عبيد،

(١) فتأمل- رحمك اللَّه- هذه المغالطة، وهذا القفز فوق كل المعايير العلمية ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، بل إنه لا يمتنع عند هؤلاء القبوريين أن يكون للنبي أو الولي أكثر من ضريح ومشهد في أكثر من بلد، وأحيانًا يخرجون من هذا المأزق بزعمهم أن لا تعارض: «لأن الأرض لأجسام الأنبياء والأولياء كالماء للسمك، فيظهرون بأماكن متعددة، ويُزار كل مكان قيل عنه: إن فيه نبيًا كريمًا أو وليًا صالحًا»، وانظر: «الانحرافات العقدية والعلمية» (٢٨٧/١).

(٢) وليت شِعري، كيف يتسنى ذلك وقد توفي طلائع بن رزيك سنة (٥٥٦هـ)، كما في «البداية والنهاية» (٢٤٣/١٢، ٢٤٤)، وتوفي القرطبي- رحمه اللَّه- بعده بحوالي (١١٥ سنة) إذ توفي القرطبي سنة (٦٧١هـ)؟!

(٣) «مختصر التذكرة للقرطبي» ص(١٨٢، ١٨٣)، وانظر: «وفيات الأعيان» (٥٣٠/٢).

(٤) ألف إبراهيم بن أحمد الغياني، وكان خادمًا لشيخ الإسلام ابن تيمية، ألف كتابًا عن شيخ الإسلام طبع تحت اسم: «ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية»، ثم لمَّا أُلف =

وأن رأس الحسين ما جاء إلى ديار مصر، لكن جرت لي واقعة: أني وأنا صغير كنت أجري فوق سطح هذا المشهد، وما له عندي حُرْمة بما حدثني أبي عنه، فبينما أنا نائم ليلة وأنا أرى عجوزًا زرقاء العينين شمطاء الرأس ومعها قيد، فحطته في رجلي، وقالت: تتوب ولا تعود تجري فوق سطح المشهد؟ فقلت: التوبة، التوبة، ما بقيت أعود. فقعدت وأنا مرعوب».

فقال الشيخ: «وهذا أيضًا حجة لي على صحة ما أقوله، فإن هذه شيطانةُ هذا الموضع، وهي التي تزينه للناس. وكذلك لما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد - رضي اللَّه عنه - بقطع (العُزَّىٰ) فقال له: لما قطعتَ العزَّى أيّ شيءٍ رأيتَ خرج؟ فقال: خَرَجَتْ منها عجوز شمطاء هاربة نحو اليمن، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «تلك شيطانة العُزَّىٰ». وسمعت الشيخَ غير مرَّة يحكيها للناس»[1].

وقال الغياني أيضًا: «قد بلغ الشيخَ أن في المسجد الذي خلف (قبة اللحم) في (العلافين) ويُعْرف باسم (مسجد الكف) بلاطة سوداء، وقد شاع بين الناس أن إنسانًا من قديم الزمان رأى في منامه النبي -صلى الله عليه وسلم-، وحدثه بأمور فقال: يا رسول اللَّه، إن حدَّثتُ الناس بالذي حدَّثتني لا يصدِّقونني، فقال له: هذا كفِّي اليمينُ في هذه البلاطة دليلًا على صدقك. وحط كفه فيها، فغاص، فبقي فيها موضع كف وخمس أصابع، وانعكف الناسُ عليه- كما ذكر- بالنذر له، والتبرك به، والاستسقاء.

= «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» - وهو قد جمع كل ما كُتب عن ابن تيمية- أُدخلت هذه الرسالة فيه.

(١) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون» ص(١٤١، ١٤٢)، والقصة المشار إليها رواها النسائي في «الكبرى» (١١٥٤٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رواه الطبراني، وفيه يحيى بن المنذر، وهو ضعيف». اهـ. (١٧٦/٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» إلى ابن مردويه (٣٠/١٤).

فبلغ ذلك الشيخ، فطلع إليها ومعه جماعته وأخوه الشيخ شرف الدين فسمعته غير مرة يحدِّث يقول: لما نظرت إليها قلت: هذا الكف منحوت، مصنوع، مكذوب. فإن النَّحَّات جاء يعمله كف يمين فعمله كف شمال. فبقي معكوسًا يجيء الخِنْصر موضع الإبهام، والإبهام موضع الخنصر، فكسرها، وما بقي لها ذكر ولا أثر، ولله الحمد»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «نفس المصدر» ص(١٣٥).

الوَصِيَّةُ الخُرَافِيَّةُ المُزمِنَةُ

ولعل أشهرَ ما زَوَّرَهُ الكذَّابُونَ، وروَّجه الأفاكونَ- الوصيةُ المنحولة المنسوبة إلى الشيخ أحمد، حامل مفاتيح حرم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفيها يزعم أنه رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في رؤيا، وأخبره بوصية يُبَلِّغُهَا أمته، وتحتوي هذه الوصية على سلسلةٍ من الوعود بالخير والبركة على من يكتب منها ثلاثين نسخة، ويُوَزِّعُهَا على معارفه، والتهديد بنزول النكبات والمصائب على من يهملها ولا يكتبها. ومن العجيب أن هذه الخرافة «مزمنة»، لا تكاد تخبو منذ أن ظهرت قبل عشرات السنين، فهي تعود إلى الانتشار من حين لآخر، متجاوزة حُدود التاريخ والجغرافيا، فمِن ثَمَّ تعاقب العلماء على تناولها بالنقض والإبطال، ومنهم الشيخ محمد رشيد رضا- رحمه الله- تعالى **(ت ١٣٦٥هـ)** ؛ **حيث قال- رحمه الله- في شأنها:**

«إننا نتذكر أننا رأينا مثل هذه الوصية منذ كنا نتعلم الخط والتهجي إلى الآن مرارًا كثيرة، وكلها معزوة كهذه إلى رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية، والوصية مكذوبة قطعًا، لا يختلف في ذلك أحد شَمَّ رائحة العلم والدين، وإنما يصدقها البلداء من العوامِّ الأميين، ولا شكَّ أن الواضع لها من العوامِّ الذين لم يتعلموا اللغة العربية ؛ ولذلك وضعها بعبارة عامِّيَّة سخيفة، لا حاجة إلى بيان أغلاطها بالتفصيل ؛ فهذا الأحمق المفتري ينسب هذا الكلام السخيف إلى أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء- -صلى الله عليه وسلم--، ويزعم أنه وجده بجانب الحجرة النبوية مكتوبًا بخط أخضر، يريد أن النبي الأمي هو الذي كتبه، ثم يتجرأ بعد هذا على تكفير من أنكره ؛ فهذه المعصية هي أعظم من جميع المعاصي التي يقول: إنها فشت في الأمة، وهي الكذِبُ على الرسول- عليه الصلاة والسلام-، وتكفير علماء أمته،

والعارفين بدينه، فإن كل واحد منهم يكذِّب واضع هذه الوصية بها، وقد قال المحدِّثون: إن قوله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ كَذَبَ عليَّ مُتَعَمِّدًا ؛ فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، قد نُقِلَ بالتواتر، ولا شك أن واضع هذه الوصية مُتَعَمِّدٌ لكذبها، ولا ندري أهناك رجل يُسَمَّى الشيخ أحمد أم لا؟

أما تَهَاوُنُ المسلمين في دينهم، وتركهم الفرائض والسنن، وانهماكهم في المعاصي؛ فهو مُشَاهَدٌ، وآثار ذلك فيهم مشاهدة، فقد صاروا وراء جميع الأمم، بعد أن كانوا بدينهم فوق جميع الأمم، ولا حاجة لمن يريد نصيحتهم بالكذب على الرسول، ووضع الرؤى التي لا يجب على من رآها أن يعتمد عليها شرعًا، بل لا يجوز له ذلك إلا إذا كان ما رآه موافقًا للشرع؛ فالكتاب والسنة الثابتة بين أيدينا، وهما مملوءَانِ بالعِظَاتِ والعبر، والآيات والنذر»[1].

*** وممن تناولها بالرد والإبطال مجلة «نور الإسلام»[2]** ؛ إذ جاء فيها:

بُلِيَ الإسلام بأشخاص يتخذون من الافتراء عليه طرقًا للتنفير منه، أو حبائل لاصطياد شيء من المال، ومن هذا القبيل صحيفة تشتمل على حكاية رؤيا منسوبة لشخص يُسَمِّي نفسه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية، وقد اخْتُرِعَتْ هذه الأكذوبة من مدة تزيد على أربعين سنة، ولا يزال مخترعها يتعهد بها الناس في الشرق والغرب من سنة إلى أخرى، وكثيرًا ما كتب أهل العلم في تزييفها وبيان ضلالاتها، ورجاؤنا اليوم في الخطباء والوُعَّاظِ أن يُنَبِّهُوا الأمة لفِريتها، وسخافة عقل من يتقبلها، وقد ورد إدارةَ المجلة مقالٌ

(١) «فتاوى رشيد رضا» (١/٢٤٠- ٢٤٢) بتصرف، بواسطة: «كتب حذَّر منها العلماء» (٢/٣٣٥، ٣٣٦).

(٢) «المجلد الثالث»- الجزء الرابع- عدد ربيع الثاني ١٣٥١هـ (ص٢٨٩) وما بعدها، بواسطة «كتب حذر منها العلماء» (٢/٣٣٩- ٣٤٧) بتصرف.

مُحَرَّر بقلم فضيلة الأستاذ صاحب التوقيع، يكشف عن جهل كاتبها، وسوء قصده، وعظم وِزْرِهِ، **وإليك ما كتب الأستاذ محمود ياسين:**

لا نزال بين آونة وأخرى نسمع خبر هذه الرؤيا، ويسوؤنا أن يتهافت الناس على طبعها، ونشرها، وقراءتها، وتعليقها على الجدران ؛ رغبة في الوعد الذي وقع فيها، وهو قوله: «ومن يُصَدِّقْ بها، يَنْجُ من عذاب النار»، وقوله: «ومن قرأها ونقلها من بلد إلى بلد؛ كان رفيق النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجنة، وكانت له شفاعته يوم القيامة»، ورهبة من الوعيد الذي تضمنته، وهو قوله: «ومن كذَّب بها كفر»، وقوله: «ومن قرأها ولم ينقلها كان خَصْمَ النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة».

كُنَّا في سنة (١٣٢١) هجرية نَشَرْنَا في الجزء السادس من المجلد الثالث من مجلة «الحقائق» ؛ ردًّا مُمْتِعًا على هذه الفِرية، وحَذَّرْنَا الناسَ من الوثوق بها، والاغترار بوعودها، ووَقَعَ إذ ذاك في خَلَدِنَا أنَّ صاحب هذه النشرة سيرتدع عن إعادة نشرها، وأنَّ الناس سيُعْرِضُونَ عنها، ولا يلتفتون بعد هذا إليها، ولكن خاب ما ظَنَنَّا، ولم نبلغ ما أملنا؛ فالكاذب لا يزال الفينةَ بعد الفينةِ ينشر فِريته، ويذيع كذبته بين الناس، وهم لا يزالون يُقْبِلُونَ عليها، ويتقبلون ما فيها من تُرَّهَاتٍ وتغريرٍ بالقبول الحسن، والعناية اللازمة.

ثم إن ناشرها- جريًا مع الأيام- قد عاد عليها بالتشذيب والتهذيب ؛ فَنَقَّحَ وصَحَّحَ، وحذف منها كثيرًا من المفتريات التي كنا نبهنا عليها مثل قوله: «كنت ليلة الجمعة في اليوم الثاني والعشرين من شهر صفر الخير سنة كذا- مضطجعًا على وضوء كامل» إلخ، وقوله: «استحيت (كذا) من اللَّه- عزَّ وَجَلَّ- وهو يقول لي: يا محمد، لأبدلن وجوههم، وأعذبهم عذابًا شديدًا. فقلت: يا رب، أمهلهم حتى أنذرهم وأبلغهم» إلخ، وقوله: «يا أحمد، إنهم قد سُلِبَ إيمانهم من كثرة الزنى»... إلخ، وقوله: «يا أحمد، إن تارك الصلاة لا تمشوا بجنازته»، وقوله: «ومن اطلع عليها ولم يخبر بها الناسَ كان وجهُه

مُسْوَدًّا يوم القيامة» إلخ، وقوله: «ومن كذَّب ولم يُصَدِّقْ بها- يعني الوصية- فهو ملعون، ثم ملعون، ثم ملعون»... إلخ، وقوله: «من بعد ألف وثلاث ومائة وأربعين سنة يخرجن (كذا) النساء من بيوتهن إلى الأسواق، من غير إذن أزواجهن» إلخ، وقوله: «وبعد ألف وثلاث مائة وخمسين ينزل من السماء مطر كبيض الدجاج، وبعد سنة (١٣٧٠) تغيب الشمس ثلاثة أيام»، وقوله: «وبعد ألف وأربع مائة يظهر المسيح الدجَّال».

وقوله: «فما كان، واللَّه، واللَّه، واللَّه، وآيات اللَّه، وأمانه، أنها مكتوبة بقلم القدرة»، وقوله: «ومن كان عنده ثلاثة دراهم واستأجر بهن (كذا)، وكتب هذه الوصية، وكان مُذْنِبًا، وعليه فرض صيام؛ غُفِرَتْ ذنوبه ببركة هذه الوصية».

كل هذه التُّرَّهَاتِ والأكذوبات قد حذفها هذا المفتري الكَذَّاب جَريًا مع الأيام كما قلنا، وجاء إلينا الآن برؤيا، أو وصية ملخَّصة مشذَّبة، ومع ذلك، لم تَخْلُ مما يجب إنكاره، وفضيحة صاحبه، وإشهاره بين الناس بأنه كاذب أفَّاك متلاعب، مجترئ على اللَّه- تعالى-، وعلى رسوله -صلى الله عليه وسلم-، القائل في الحديث الصحيح المتواتر الذي رواه الجم الكثير من الصحابة عنه -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ كَذَبَ عليَّ مُتَعَمِّدًا ؛ فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ من النَّارِ» ؛ أي: فليتخذ منزله منها.

«لو أن هذا الرجل الذي سَمَّي نفسه بالشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية كان ممن يخشون اللَّه- تعالى-، ويُعِدُّونَ العدة للقائه- سبحانه-، لما حَمَّل نفسه أقبح أنواع الكذب، وأشدها للَّه - تعالى- سخطًا ؛ حيث اعتاد أن يبني وصيته على رُؤْيَا منامية يحكيها للناس، وهو في ذلك من الأفاكين الكذَّابين الدَّجَّالين ؛ فقد صحَّ عنه -صلى الله عليه وسلم- ؛ أنه قال: «إنَّ مِنْ أعْظَمِ الفِرَى أن يُدْعَى الرَّجُلُ إلى غيرِ أبيهِ، أو يُرِيَ عيْنَهُ في المَنَامِ مَا لَمْ تَرَ، أو يَقُولَ عليَّ مَا لَمْ أقُلْ»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «مِن أفْرَى الفِرَى أنْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ».

* مِن افتِرَاءَاتِ صَاحِبِ الوصيةِ المَزعُومَةِ :

قوله: قال الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية الشريفة: قال- عليه الصلاة والسلام-: «من قَرَأَهَا ونقلها من بلد إلى بلد ؛ كان رفيقي في الجنة، وشفاعتي له يوم القيامة، ومن قرأها ولم ينقلها؛ كان خصمي يوم القيامة» ؛ لأن فيها إسنادَ حديث إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- كَذِبٍ موضوعٍ عليه، لا أصل له في الدين، ولا يحل نقله عنه -صلى الله عليه وسلم- لأحد من المسلمين ؛ فالعجب ممن يدعي أنه خادم الحجرة النبوية الشريفة ؛ كيف يجرؤ هذه الجرأة، ويتقول على النبي -صلى الله عليه وسلم- ما لم يَقُلْهُ، وما لا يجتمع مع أحكام دينه، وقواعد شريعته؟ وهذا وأمثاله يحملنا على أن نظن بهذا الرجل أنه ليس من المسلمين، بل عدو لهم متستر باسم خادم الحجرة النبوية الشريفة، يستهزئ بدينهم، وبأحكام شرعهم ؛ فيجعل جزاء نقل وصية من بلد إلى بلد مرافقة النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجنة، واستحقاق شفاعته.

ومنها قوله: «ومن يصدق بها ينجو (كذا) من عذاب النار، ومن كذَّب بها كفر»؛ لأنَّ هذا الوعيد لا يصح أن يكون إلا لكتاب اللَّه- تعالى-، وما عُلم من الدين الإسلاميِّ بالضرورة؛ كأركان الإيمان والإسلام، أما غير ذلك مما لا يجب الإيمان به شرعًا، فالتكذيب به ليس كفرًا، كما أن التصديق به لا يُنَجِّي من نار، ولا يمنع من عذاب، ومن هنا يعلم القارئ سَخَافَةَ عقل هذا الرجل الذي يسمي نفسه بالشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية الشريفة، وجهلَه، وقلةَ دينِه، وجرأته على اللَّه- تعالى- وعلى شريعته، وأنه على ما نُرَجِّحُ متلاعب مستتر بهذا الاسم، لا يريد إلا الكيد للمسلمين وإيذاءهم.

(إن هذه الوصية تحمل في طَيَّاتِهَا دليل كذبها، ودليل تزويرها؛ فصاحبها يهدِّد الناس ويخوِّفهم إذا لم ينشروها أن تصيبهم المصائب، وتحلَّ بهم الكوارث، وأن يموت أبناؤهم، وأن تُفْقَدَ أموالهم، وهذا ما لم يقل به

إنسان، حتى في كتاب اللَّه، وفي سنة رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- ؛ لم يُؤْمَرِ الناس أن كلَّ مَنْ قرأ القرآن كتبه ونشره، وأن مَنْ قرأ «صحيح البخاري» كتبه ونشره، وإلا حلت به المصائب ؛ فكيف بمثل هذه الوصايا التخريفيَّة؟! هذا شيء لا يمكن أن يصدِّقَهُ عقل مسلم، يفهم الإسلام فَهْمًا صحيحًا.

وتقول الوصية الزَّائفة: إنَّ فلانًا في البلد الفلاني نشر هذه الوصية ؛ فَرُزِقَ بعشرات الآلاف من « الروبيات »، هذا كله تخريف وتضليل للمسلمين عن الطريق الصحيح، وعن اتباع السنن والأسباب التي وضع اللَّه عليها نظام هذا الكون ؛ فالرزق له أسبابه، وله طرائقه، وله سننه)[1].

- وقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى تُبْطِلُ هذه الوصية المزعومة، وهاك نَصَّها:

الحمد للَّه وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

«من الممكن عقلًا الجائز شرعًا أن يرى المسلم في منامه النبي -صلى الله عليه وسلم- على هيئته وصورته التي خلقه اللَّه عليها ؛ فتكون رؤيا حقٍّ، فإن الشيطان لا يتمثل به ؛ لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ رَآنِي في المنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي». رواه الإمام أحمد والبخاري من طريق أنس، ولكن قد يكذب الإنسان فيدعي زورًا أنه رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- على صورته التي خَلَقَهُ اللَّه عليها، والتي نُقِلَتْ إلينا نقلًا صحيحًا، وقد يرى في منامه شَخْصًا على غير الصفة الخِلْقية للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ويُخَيِّلُ إليه الشيطان أنه النبي -صلى الله عليه وسلم- وليس به ؛ فتكون الرؤيا كاذبة.

(١) «فتاوى معاصرة» (١/١٨٧).

والرؤيا المنسوبة إلى الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية إن لم تَصِحَّ نسبتها إليه ؛ كانت مصطنعة مفتراة، وهذا هو الظاهر ؛ فإنه لا يزال مُدَّعٍ مجهول يسمي نفسه الشيخ أحمد، ويدعي أنه رأى هذه الرؤيا، وقد تُوُفِّي الشيخ أحمد خادم الحجرة من زمن طويل، كما أخبر بذلك أهله، وأقرب الناس إليه، حينما سئلوا عن ذلك، وأنكروا نسبة هذه الرؤيا إليه، وهم ألصق الناس به، وأعرفهم بحاله، وإن صَحَّتْ نسبتها إليه، فهي إما كذب منه وافتراء على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإما أضغاث أحلام وخيال كاذب، وتلبيس من الشيطان على الرائي، وليست رؤيا صادقة، والذي يدل على أنها كذب، وبهتان، أو خيال، وزور: ما اشتملت عليه مما يتنافى مع الواقع، وشريعة رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-.

أما منافاتها للواقع، فإنها لا تزال تُطْبَع وتنشر مرات بعد وفاته، وقد أنكر أهله وألصَقُ الناس به نسبتها إليه حينما سُئِلُوا عن ذلك.

وأما منافاتها للشريعة الإسلامية ؛ فلِما اشتملت عليه من الأمور التالية:

أولًا: الإخبار فيها عن تحديد عدد من مات من هذه الأمة على غير الإسلام من الجمعة إلى الجمعة، وهذا من أمور الغيب، التي لا يعلمها البشر، إنما يعلمها اللَّه، ومن يظهره عليها من رسله في حياتهم، وقد انقطعت الرسالة من البشر بوفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال اللَّه- تعالى-: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: الآية ٦٥]، وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧]، وقال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ثانيًا: إخباره عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال له: «أنا خجلان من أفعال الناس القبيحة، ولم أقدر أن أقابل ربي والملائكة» ؛ فإنه من الزور والأخبار

المنكرة ؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يعلم أحوال أمته بعد وفاته، بل لا يعلم منها أيام حياته في الدنيا إلا ما رآه بنفسه، أو أخبره به من اطلع عليه من الناس، أو أظهره الله عليه ؛ فعن ابن عباس- رضيَ اللَّهُ عنهما- قال: خطب النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إلى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]».

إلى أن قال: «ألا إنه يجاء برجال من أمَّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ؛ فَأَقُولُ: يا رَبِّ، أُصَيْحَابِي[1]. فيقالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فأقولُ كمَا قال العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]. فيقالُ: إنَّ هؤلاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ[2] على

(١) أطلق عليهم وصف (الأصحاب) باعتبار ما كان قبل الردة، ولا شك أن الردة سلبتهم هذا الوصف الشريف.

(٢) [وهم أهل الردة الذين أسلموا في حياته -صلى الله عليه وسلم- ولم يخالط الإيمانُ قلوبهم، فارتدوا بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم-، وقاتلهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أو المراد بهم المنافقون، ونقل النووي عن ابن عبد البر قوله: «كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، من الخوارج والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، المعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عُنُوا بهذا الخبر، والله أعلم». اهـ. من «شرح النووي» (٣/ ١٣٧)، والظاهر أن هؤلاء لا يُجزم بأنهم يذادون عن الحوض لأنهم تحت المشيئة وحكمهم حكم أصحاب الكبائر الذين ماتوا على التوحيد.

ويتضح مما سبق أن المذادين عن الحوض هم القبائل المرتدة بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، **أو المنافقون - كما مر - وليسوا صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما زعمت الشيعة الاثنا عشرية. فأحاديث الحوض رواها الصحابة أنفسهم؛ أكثر من خمسين صحابيًّا، فكيف يُعقل أن يرووا من الأحاديث ما يدل على كُفْرِهم وردتهم مع اعتقاد الاثنى عشرية - إلا من شذ منهم - أن الصحابة حذفوا الآيات التي تحدثت عن مثالبهم، فَلِمَ لم يكتموا هذا الحديث، مع عظم ضرره إن كان يعنيهم؟ فدلَّ على أنه ليس المراد بهم** اصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

قال الخطابي فيما نقله عنه ابن حجر: «ولم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة لهم الدين. [وعند الكرماني: «ممن لا بصيرة له في الدين». «الكواكب الدراري» (١٠٦/١٧)]، وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين»، ثم قال: «ويدل قوله: (أصيحابي) [كما في حديث أنس المتفق عليه]- بالتصغير - على قلة عددهم». اهـ. «فتح الباري» (١١/ ٣٢٤).

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «أصيحابي» - بالتصغير - مذكور في العديد من مصنفات الشيعة كما في «مجمع البيان» (١/ ٤٨٥)، وهي تدل على قلة عدد من ارتد، لا كما تقول الشيعة عن الصحابة: «إنهم ارتدوا جميعًا إلا نفرًا يسيرًا».

وقد رد ابن قتيبة استدلالهم بهذه الأحاديث فقال: «إنهم لو تدبروا الحديث وفهموا ألفاظه لاستدلوا على أنه لم يُرِد بذلك إلا القليل، يدلك على ذلك قوله: (ليردن عليَّ الحوض أقوام)، ولو كان أرادهم جميعًا إلا من ذُكروا لقال: لَتَرِدُنَّ عليَّ الحوض، ثم لتختلجُنَّ دوني، ألا ترى أن القائل إذا قال: أتاني اليوم أقوام من بني تميم وأقوام من أهل الكوفة، فإنما يريد قليلًا من كثير، ولو أراد أنهم أتوه إلا نفرًا يسيرًا، قال: أتاني بنو تميم، وأتاني أهل الكوفة، ولم يجز أن يقول: «قوم»، لأن القوم هم الذين تخلفوا، وكذلك أيضًا قوله: (يا رب أصيحابي)- بالتصغير - وإنما يريد بذلك تقليل العدد»... إلى أن يقول: «وقد ارتد بعده أقوام منهم عيينة بن حصن، ارتد، ولحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ»... إلى أن قال: «ولعيينة بن حصين أشباه ارتدوا حين ارتدت العرب، فمنهم من رجع وحسن إسلامه، ومنهم من ثبت على النفاق». اهـ. من «تأويل مختلف الحديث» ص(١٥٨، ١٥٩).

وقال في موضع آخر: «حدثني زيد بن أخزم الطائي قال: أنا أبو داود، قال: نا قرة بن خالد عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: كم كانوا في بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مئة، قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مئة. **قال: أوهم رحمه الله، هو الذي حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مئة، فكيف يجوز أن يرضى الله - عز وجل - عن أقوام، ويحمدهم، ويضرب لهم مثلًا في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يرتدون على** أعقابهم بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم، وهذا هو شر الكافرين». اهـ. من «تأويل مختلف الحديث» ص(١٥٨، ١٥٩).

قال الله مخبرًا عن رضاه عن الذين بايعوا بيعة الرضوان: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها». رواه مسلم (٤/ ١٩٤٢).

أعقابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»، رواه البخاري[1].

وعلى تقدير أنه يعلم أحوال أمته بعد وفاته، فلا يلحقه بذلك حرج، ولا يصيبه من وراء كثرة ذنوبهم ومعاصيهم إثم ولا خجل، وقد ثبت في حديث الشفاعة العظمى أن أهل الموقف كُفَّارًا ومسلمين يستشفعون بالأنبياء واحدًا بعد آخر حينما يشتد بهم هول الموقف، فيعتذر كل منهم عن الشفاعة لهم عند اللَّه، ثم

= قال ابن تيمية - رحمه اللَّه -: «وقد علم بالاضطرار أنه كان في هؤلاء السابقين الأولين: أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة، والزبير، وبايع النبي - صلى الله عليه وسلم- بيده عن عثمان لأنه كان غائبًا قد أرسله إلى أهل مكة ليبلغهم رسالته، وبسببه بايع النبي - صلى الله عليه وسلم- الناس لما بلغه أنهم قتلوه». اهـ. من «منهاج السنة» (٢/ ٢٧).

وروى الشيعة عن أبي جعفر الباقر أن عدد الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة كان ألفًا ومائتين - وفي رواية - ألفًا وثلاثمائة.

ولكن رغم تسليم الاثنى عشرية لهذه النصوص، فإنهم يرون أن الرضا الذي وقع في بيعة الرضوان، والمغفرة العامة لأهل بدر كلها مشروطة بسلامة العاقبة وعدم النكث.

وترد عليهم المناظرة التي جرت بين إمامهم الخامس أبي جعفر الباقر وأحد الخوارج، فإن الباقر احتج على الخارجي بأحاديث في فضائل علي، والخارجي ردها بقوله: «أحدث الكفر بعدها»، فقال له أبو جعفر: «ثكلتك أمك، أخبرني عن اللَّه أحبَّ عليَّ بنَ أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ قال: لئن قلت: «لا» كفرت. قال: فقال: «قد علم»، قال: «فأحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟» فقال: «على أن يعمل بطاعته»، فقال له أبو جعفر: «فقم مخصومًا». اهـ. من «الروضة من الكافي» للكليني ص(٤٢١).

وكذلك الصحابة قد أخبر الله بأنه رضي عنهم، وأمر بالاستغفار لهم، والرضا من الله صفة أزلية لا أول لها، وهو سبحانه لا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضى، ومن رضي اللَّهُ عنه لا يسخط عليه أبدًا، وخبر الله لا يُنسخ ولا يُبدل، ولا يجوز أن يتناقض أبدًا، ومن دفع خبر الله برأيه ونظره كان ملحدًا، انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٢٠٨)]. اهـ. بتصرف من «موسوعة الدفاع عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم» للدكتور عبد القادر ابن محمد عطا صوفي ص(١٩١-٢٠٠).

(١) رواه البخاري (٤/ ٢٧٧)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤، ٢١٩٥) رقم (٢٨٦٠).

ينتهي أهل الموقف إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيسألونه أن يشفع لهم عند اللَّه، فيستجيب لهم، ولا يمنعه من الشفاعة لهم كثرة معاصيهم، أو كفر الكافرين منهم، ولا يخجل من ذلك، بل يذهب فيسجد تحت العرش، ويحمد ربه، ويثني عليه بمحامد يُعَلِّمُهُ إياها، حتى يأمره أن يرفع رأسه، وأن يشفع لهم، وبعد ذلك ينصرفون للحساب والجزاء، ولم يمنعه شيء من ذلك من لقاء ربه، ومقابلة الملائكة، ولم يَلْحَقْهُ منه عار.

ثالثًا: إخباره بالجزاء العظيم الذي يترتب على كتابة هذه الوصية، ونقلها من محل إلى محل، أو من بلد إلى بلد، وتعيين جزاء الأعمال وتحديده من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا اللَّه، وقد انقطع الوحي إلى البشر بوفاة خاتَم الأنبياء- عليه الصلاة والسلام- ؛ فادعاء العلم بذلك باطل، وقد ادعاه الشيخ أحمد المزعوم ؛ حيث قال في الوصية المكذوبة: «ومن يكتبها ويرسلها من بلد إلى بلد، ومن محل إلى محل، بُنِيَ له قصر في الجنة»، وقال: «ومن يكتبها وكان فقيرًا أغناه اللَّه، أو كان مَدينًا قضى اللَّه دَيْنَه، أو كان عليه ذنب غفر اللَّه له ولوالديه» ؛ فهو كاذب في ذلك.

وكذا إخباره عن الوعيد الشديد الذي يصيب من لم يكتبها، ويرسلها، وتعيينه إياه بأنه يُحْرَمُ شفاعةَ النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويَسْوَدُّ وجهه في الدنيا والآخرة ؛ حيث قالَ فيها: «ومن لم يكتبها ويرسلها، حُرِّمَتْ عليه شفاعتي يوم القيامة»، وقال: «ومن لم يكتبها من عباد اللَّه، اسْوَدَّ وجهه في الدنيا والآخرة» ؛ فهذا- أيضًا- من الغيب الذي لا يعلم بتحديده إلا اللَّه، فَإِخْبَارُهُ به وقد انقطع الوحي إلى البشر ؛ رجم بالغيب، وكذِبٌ وزور، وكذا قوله فيها: «ومن يُصَدِّقْ بها (ينجو) من عذاب النار، ومن يكذب بها كفر» ؛ فهذا- أيضًا- زورٌ وبهتانٌ، فإن التكذيب بالرؤيا الصادرة من غير الأنبياء لا يعد كفْرًا بإجماع المسلمين.

رابعًا: إن كل ما أخْبرَ به من الوعد والوعيد على سبيل التعيين والتحديد

يتضمن تشريعًا بالحث على كتابة الوصية، وإبلاغها ونشرها بين الناس للعمل بها، واعتقاد ما فيها رَجَاءَ المثوبة التي حدَّدَهَا، ويتضمن تشريع تحريم كتمانها، والتفريط في إبلاغها ونشرها، والتحذير من ذلك خشية أن يَحِيقَ بمن كتمها أو فَرَّطَ في نَشْرِهَا ما أخبر به من الوعيد الشديد بحرمانه من الشفاعة، واسوداد وجهه.

خامِسًا: عَدَمُ التناسب بين ما أخبر به من الجزاء والأعمال، وهو دليل الوضع والكذب في الأخبار، إلى غير هذه الأمور من الأكاذيب ؛ فيجب أن يحذر المسلم هذه الوصية المزعومة، ويعمل على القضاء عليها.

وباللَّه التوفيق، وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[1].

❁ ❁ ❁

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٤/٧٤- ٧٧) فتوى (٩٩٩).

الرؤيا ليست حجة شرعية

ذهب بعض الناس إلى الاعتماد على الرؤى والمنامات واعتبارها حجة[1]. والصحيح أن الرؤيا لا تعتبر حجة ولا مصدرًا من مصادر التشريع، ولا يجوز أن يبني عليها الإنسان حكمًا شرعيًّا حلًّا أو حرمة، كراهة أو استحبابًا، أو غير ذلك من مثل تعيين مراد اللَّه ورسوله -صلى الله عليه وسلم- بتفسير الكتاب والسنة.

وتنحصر فائدة الرؤيا في التبشير والتحذير، وتصلح للاستئناس بها؛ إذا وافقتْ حجةً شرعيةً صحيحة؛ فهي - على هذا - كالتنبيه على موضع الدليل، وليست دليلًا مستقلًّا، فالعصمة منتفية عنها؛ ما لم تكن من نبي أو رسول؛ فإنها وحي، ومن قبيل الحق.

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه اللَّه تعالى- أن الحق الذي لا باطل فيه هو «ما جاءت به الرسل عن اللَّه تعالى، ويُعرف بالكتاب والسنة والإجماع، فإن هذا حق لا باطل فيه، واجب الاتباع لا يجوز تركه بحال، عامُّ الوجوب لا يجوز ترك شيء مما دلت عليه هذه الأصول، وليس لأحدٍ الخروج عن شيء مما دلت عليه»، وقال- رحمه اللَّه-: «الكتاب والسنة والإجماع، وبإزائه لقومٍ آخرين: المنامات، والإسرائيليات، والحكايات». اهـ[2].

الأدلة على أن الرؤيا ليست مصدرًا للتشريع :

١- أن اللَّه تعالى أوجب علينا اتباع كتابه المجيد وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- لا غير، وذلك كثير في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ٣].

(١) انظر: «إرشاد الفحول» (٢/٢٩١). (٢) «مجموع الفتاوى» (١٩/٥).

٢- قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فلا مجال لتشريعٍ بعد انتقال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى.

قال الشوكاني- رحمه اللَّه-: «ولا يخفاك أن الشرع الذي شرعه اللَّه لنا على لسان نبينا -صلى الله عليه وسلم- قد كمله اللَّه عز وجل، ولم يبق بعد ذلك حاجة للأمة في أمر دينها، وقد انقطعت البعثة بالموت»[1].

٣- أن الأدلة الشرعية التي هي أصول الأحكام ومصادرها، محصورة في الكتاب والسنة باتفاق الأئمة، ثم الإجماع والقياس باتفاق جمهورهم، ثم العرف، والاستصحاب، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وشرع من قبلنا، وقول الصحابي، وسد الذرائع، على خلاف بين جمهور الأئمة في حجيتها، ولم يذكر أحد من أئمة العلم الرؤى المنامية ضمن هذه الأدلة.

قال الشوكاني- رحمه اللَّه-: «ولم يأتنا دليل يدلُّ على أن رؤيته في النوم بعد موته -صلى الله عليه وسلم- إذا قال فيها بقول أو فعل فيها، يكون دليلًا وحجة، بل قد قبضه اللَّه إليه بعد أن كمل لهذه الأمة ما شرعه لها على لسانه»[2]. اهـ.

٤- أن الرؤى ثلاثة أقسام من حيث منابعها: رحماني، ونفساني، وشيطاني، ولا سبيل إلى التمييز بينها حتى نقبل الرحماني، ونرد ما عداه.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية- رحمه اللَّه تعالى-: «والرؤيا كالكشف: منها رحماني، ومنها شيطاني، ورؤيا الأنبياء وحي فإنها معصومة

(١) انظر: «إرشاد الفحول» (٢/٢٩١، ٢٩٢).
(٢) «إرشاد الفحول» (٢/٢٩١، ٢٩٢).

من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام بالرؤيا. وأما رؤيا غيرهم فتُعرض على الوحي الصريح: فإن وافقته، وإلا لم يُعمل بها»[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن المُعَلِّميُّ - رحمه اللَّه -: «الرؤيا قصاراها التبشير والتحذير، وفي الصحيح: أن الرؤيا قد تكون حقًّا وهي المعدودة من النبوة، وقد تكون من الشيطان، وقد تكون من حديث النفس، والتمييز مشكل»[2].

٥- أن الرؤيا تقع حال النوم، وليست هي حالة ضبط وتحقيق، ولا هي حالة تكليف، ولذلك رُفع القلم عن النائم حتى يستيقظ، فلا تقبل رواية النائم لاختلال ضبطه.

٦- أن الغالب في الرؤيا «الترميز» والإشارة، ولا يفقه تعبيرها إلا قلةٌ من الناس، فتكون محتملة لتفسيرات متعددة، وما كان هذا شأنه لا يستقيم الاستدلال به.

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي- رحمه اللَّه-: «الغالب أن تكون على خلاف الظاهر حتى في رؤيا الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- كما قصَّ من ذلك في القرآن، وثبت في الأحاديث الصحيحة، ولهذه الأمور اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة، وإنما هي تبشير وتنبيه، وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة كما ثبت عن ابن عباس أنه كان يقول بمتعة الحج لثبوتها عنده بالكتاب والسنة، فرأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك، فاستبشر ابن عباس». اهـ[3].

(١) «مدارج السالكين» (١/٥١).
(٢) «التنكيل» (٢/٢٤٢).
(٣) «التنكيل» (٢/٢٥٩).

وكما قال ابن القيم - رحمه اللَّه -:

قال شيخنا - يعني ابن تيمية -: «كان يُشْكِل عليَّ أحيانًا حالُ من أصلي عليه الجنائز؛ هل هو مؤمن أو منافق؟ فرأيت رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- في المنام، فسألته عن مسائل عديدة، منها هذه المسألة، فقال: «يا أحمد! الشرطَ الشرطَ». أو قال: «عَلِّق الدعاء بالشرط»[1]، فهذه الرؤيا يستأنس بها فحسب.

❁ ❁ ❁

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣/ ٣٩٩).

قول الإمام أبي إسحاق الشاطبي

١- قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي- رحمه اللَّه- تعالى-:

«وأضعف هؤلاء احتجاجًا، قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلانًا الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا. ويتفق مثل هذا كثيرًا للمترسِّمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم فقال لي: كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها، ويترك بها، مُعْرِضًا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعًا على حال، إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سَوَّغَتْها عُمِلَ بمقتضاها، وإلا وجب تركُها، والإعراضُ عنها، وإنما فَائِدَتُهَا البِشارة أو النِّذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا، . . . فلو رأى في النوم قائلًا يقول: إن فلانًا سرق فاقطعه، أو عالم فاسأله، أو اعمل بما يقولون لك، أو فلان زنى فحدَّه، وما أشبه ذلك؛ لم يصحَّ له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة، وإلا كان عاملًا بغير شريعة؛ إذ ليس بعد رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- وحي».

ولا يُقَالُ: إن الرؤيا من أجزاء النبوة، فلا ينبغي أن تُهْمَلَ، وأيضًا إن المخبر في المنام قد يكون النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو قد قال: «مَنْ رَآنِي في النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي حَقًّا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»، وإذا كان؛ فإخباره في النوم كإخباره في اليقظة.

لأنا نقول: إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة فليست إلينا من كمال الوحي، بل جزء من أجزائه، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه، بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه، وقد صُرِفَتْ إلى جهة البشارة والنذارة.

وأيضًا، فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها أن تكون صالحة من الرجل الصالح، وحصول الشروط مما ينظر فيه، قد تتوفر، وقد لا تتوفر.

وأيضًا فهي منقسمة إلى الحُلْم وهو من الشيطان، وإلى حديث النفس، وقد تكون بسبب هيجان بعض أخلاط، فمتى تتعين الصالحة حتى يُحْكَمَ بها وتُتركَ غيرُ الصالحة؟

ويلزم أيضًا على ذلك أن يكون تجديدَ وحيٍ بحكمٍ بعدَ النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو منهي عنه بالإجماع.

يُحكى أن شريك بن عبدالله القاضي دخل على المهديِّ، فلما رآه قال: «عليَّ بالسيف والنِّطْع»[1]، قال: «ولم يا أمير المؤمنين؟»، قال: «رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي وأنت معرض عني، فقصصتُ رؤياي على مَن عبَّرها، فقال لي: يُظهر لك طاعة، ويضمر معصية»، فقال له شريك: «واللَّه ما رؤياك برؤيا إبراهيم الخليل - عليه السلام - ولا أن معبرك بيوسف الصديق - عليه السلام -، فبالأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين؟»، فاستحيى المهدي، وقال: «اخرج عني»، ثم صرفه، وأبعده.

وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- الرائي بحكم، فلابد من النظر فيها أيضًا، لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته، فالحكم بما استقر، وإن أخبر بمخالف، فمحال، لأنه -صلى الله عليه وسلم- لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته، لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية، لأن ذلك باطل بالإجماع، فمن رأى شيئًا من ذلك فلا عمل عليه، وعند ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة، إذ لو رآه حقًّا لم يخبره بما يخالف الشرع.

(١) النِّطْع: بساط من الجلد، كثيرًا ما كان يُقْتَل فوقه المحكومُ عليه بالقتل.

لكن يبقى النظر في معنى قوله -صلى الله عليه وسلم-: «من رآني في النوم فقد رآني»، وفيه تأويلان: أحدهما: ما ذكره ابن رشد، إذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في قضية، فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال له: «لا تحكم بهذه الشهادة، فإنها باطلة»، فأجاب بأنه:

لا يحل له أن يترك العمل بتلك الشهادة، لأن ذلك إبطال لأحكام الشريعة بالرؤيا، وذلك باطل لا يصح أن يُعتقد، إذ لا يَعلم الغيبَ من ناحيتها إلا الأنبياءُ الذين رؤياهم وحي، ومَن سواهم إنما رؤياهم جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة.

ثم قال: وليس معنى قوله: «من رآني فقد رآني حقًّا» أن كل من رأى في منامه أنه رآه فقد رآه حقيقة، بدليل أن الرائي قد يراه مرات على صور مختلفة، ويراه الرائي على صفة، وغيره على صفة أخرى، ولا يجوز أن تختلف صور النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا صفاته، وإنما معنى الحديث: من رآني على صورتي التي خُلِقتُ عليها فقد رآني، إذ لا يتمثل الشيطان بي»، إلى أن قال الشاطبي - رحمه اللَّه-: «فهذا ما نقل عن ابن رشد، وحاصله يرجع إلى أن المرئي قد يكون غير النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإن اعتقد الرائي أنه هو»، ثم قال: «نعم لا يَحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضَها على العلم، لإمكان اختلاط أحد القسمين بالآخر، وعلى الجملة فلا يَستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المُنَّة[1]، نعم يأتي المرئي تأنيسًا وبشارة ونذارة خاصة، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكمًا، ولا يبنون عليها أصلًا، وهو الاعتدال في أخذها، حسبما فُهم من الشرع فيها، واللَّه أعلم» اهـ[2].

(١) المُنَّة: القوة، يقال: ليس لقلبه مُنَّة.

(٢) «الاعتصام» (١/٢٦٠- ٢٦٤) بتصرف.

- وقال الإمام الشاطبي - رحمه اللَّه- تَعَالَى- في سياق الرد على من يحتج بالإلهام والكشف والرؤى المنامية:

(هذه الأمور لا يصح أن تُراعى وتُعتبر ؛ إلا بشرط ألَّا تخرم حكمًا شرعيًّا، ولا قاعدة دينية، فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكمًا شرعيًّا ليس بحق في نفسه، بل هو إما خيال أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان، وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع، وذلك أن التشريع الذي أتى به رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- عام لا خاص، وأصله لا ينخرم، ولا ينكسر له اطراد، ولا يحاشَى من الدخول تحت حكمه مكلف، وإذا كان كذلك، فكل ما جاء من هذا القبيل الذي نحن بصدده مضادًّا لما تمهد في الشريعة؛ فهو فاسد باطل.

ومن أمثلة ذلك : مسألة سئل عنها ابن رشد في حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر، فرأى الحاكم في منامه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: «لا تحكم بهذه الشهادة ؛ فإنها باطل»، فمثل هذه الرؤيا لا معتبرَ بها في أمر ولا نهي، ولا بشارة ولا نذارة، لأنها تخرم قاعدة من قواعد الشريعة، وكذلك سائر ما يأتي من هذا النوع، وما روي «أن أبا بكر - رضي اللَّه عنه - أنفذ وصية رجل بعد موته برؤيا رؤيت[1] ؛ فهي قضية عين لا تقدح في القواعد الكلية لاحتمالها، فلعل الورثة رضوا بذلك، فلا يلزم منها خَرْم أصلًا».

(١) قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في الإصابة (١/٣٩٥، ٣٩٦):
« وفي البخاري مختصرًا والطبراني مطولًا عن أنس - رضي الله عنه - قال: «لما انكشف الناس يوم اليمامة قُلتُ لثابت بن قيس: ألا ترى يا عم؟ ووجدته يتحنط، فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، بئس ما عودتم أقرانكم، اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ومما صنع هؤلاء، ثم قاتل حتى قُتل، وكان عليه درع نفيسة، فمر به رجل مسلم فأخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه، فقال: إني أوصيك بوصية =

وعلى هذا فلو حصلت المكاشفة بأن هذا الماء المعين مغصوب أو نجس، أو أن هذا الشاهد كاذب، أو أن المال لزيد وقد تحصَّل بالحجة لعمرو، أو ما أشبه ذلك ؛ فلا يصح له العمل على وفق ذلك ما لم يتعين سبب ظاهر ؛ فلا يجوز له الانتقال إلى التيمم، ولا ترك قبول الشاهد، ولا الشهادة بالمال لزيد على حال، فإن الظاهر قد تعيَّن فيها بحكم الشريعة أمر آخر، فلا يتركها اعتمادًا على مجرد المكاشفة، أو الفراسة، كما لا يعتمد فيها على الرؤيا النومية، ولو جاز ذلك ؛ لجاز نقض الأحكام بها؛ وإن ترتبت في الظاهر موجباتها، وهذا غير صحيح بحال، فكذا ما نحن فيه.

وقد جاء في «الصحيح»: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأحكمَ له على نحو ما أسمع منه» الحديث ؛ فقيد الحكم بمقتضى ما يسمع، وترك ما وراء ذلك، فلم يحكم إلا على وفق ما سمع، لا على وفق ما علم، وهو أصل في منع الحاكم أن يحكم بعلمه)[1] اهـ.

❁ ❁ ❁

= فإياك أن تقول هذا حُلم فتضيعه؛ إني لما قُتلت أَخَذَ درعي فلان، ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس تستن - أي تعدو مرحًا ونشاطًا-، وقد كفى على الدرع بُرمة، وفوقها رَحْل، فأتِ خالدًا فمره فليأخذها، وليقل لأبي بكر: إن عليَّ من الدَّين كذا وكذا، وفلان عتيق.
فاستيقظ الرجل فأتى خالدًا، فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتى بها، وحدَّث أبا بكر برؤياه، فأجاز وصيته. ورواه البغوي من وجه آخر عن عطاء الخراساني عن بنت ثابت بن قيس مطولًا». اهـ، وانظر ص(١٤٢).
وقال ابن تيمية- رحمه الله- في «الاختيارات الفقهية» (١٨٩): «وتصح الوصية بالرؤيا الصادقة المقترنة بما يدل على صدقها من إقرار كاتب أو إنشاء؛ لقصة ثابت بن قيس التي نفذها الصديق رضي الله عنه ». اهـ.

(١) «الموافقات» (٢/٤٥٧- ٤٥٩).

نصوص أُخَر لبعض أهل العلم في المسألة

ذكر جماعة من أهل العلم منهم أبو إسحاق الإسفراييني أن من رأى النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم في المنام وأمره بأمر يلزمه العمل به، ويكون قوله حجة[1].

وقد أبى جمهور العلماء هذه الطريقة، واتفقوا على أن أي شيء مما ينتج عن الرؤيا إذا خالف الشريعة مردود، وإن وافقها فهو أمارة يؤتنس بها، وإن لم يوافقها ولم يخالفها جاز العمل بها، **وهاك بعضَ نصوصِهم:**

- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه اللَّه-**: «الرؤيا المحضة التي لا دليل على صحتها؛ لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق»[2].

ونقل ابن مفلح عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه اللَّه تعالى- قال: «الإسرائيليات والمنامات لا يجوز أن يثبت بها حكم شرعي لا استحباب ولا غيره، ولكن يجوز ذكره في الترغيب والترهيب فيما لو عُلِم حُسْنُه أو قُبْحه بأدلة الشرع؛ فإنه ينفع ولا يضر، واعتقاد موجبه قدر ثواب وعقاب يتوقف على الدليل الشرعي»[3]. اهـ.

- واعترض الإمام أبو محمد علي بن حزم- رحمه اللَّه- على من استدل على تحريم القُبلة على الصائم بما رواه بإسناده عن (عمر بن حمزة[4] أخبرني

(١) انظر: «المدخل» لابن بدران ص(١٣٩).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٥٧، ٤٥٨).
(٣) «مصائب الإنسان من مكائد الشيطان» ص(١٧٣).
(٤) وهو ضعيف كما في «التقريب» ص(٤١١) رقم (٤٨٨٤)، وضعفه أحمد، وابن معين، والنسائي.

سالم بن عبد اللَّه عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه -: رأيت رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- في المنام، فرأيته لا ينظرني، فقلت: يا رسول اللَّه، ما شأني؟! فقال: ألست الذي تُقَبِّل وأنت صائم؟! قلت: فوالذي بعثك بالحق، لا أُقَبِّل بعدها وأناصائم.

قال أبو محمد: الشرائع لا تؤخذ بالمنامات، لا سيما وقد أفتى رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- عمر في اليقظة حيًّا بإباحة القبلة للصائم[1]، فمن الباطل أن ينسخ ذلك في المنام ميتًا! نعوذ باللَّه من هذا.

ويكفي من هذا كله أن عمربن حمزة لا شيء). اهـ[2].

- **وقال الإمام النووي- رحمه اللَّه-**: «إن الرائي وإن كانت رؤياه حقًّا، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي بما جاء فيها، لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شروط مَن تُقبل روايته وشهادته: أن يكون متيقظًا لا مغفلًا ولا سيئ الحفظ، ولا كثير الخطأ، ولا مختلَّ الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة، فلم تقبل روايته، لاختلال ضبطه»[3]. اهـ.

- **وقال ابن الحاج - رحمه اللَّه-**: (إن اللَّه لم يكلف عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «رفع القلم عن ثلاثة» عَدَّ منهم: «النائم حتى يستيقظ»، لأنه إذا كان نائمًا فليس من أهل التكليف، فلا يعمل بشيء يراه في نومه)[4]اهـ.

(١) يشير إلى ما رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه -: هَشِشْتُ فقبَّلتُ وأنا صائم، فقلت: يا رسول الله، صنعت اليوم أمرًا عظيمًا، قبَّلت وأنا صائم، قال: «أرأيت لو مضمضتَ من الماء وأنت صائم؟»، قُلْتُ: لا بأس به، قال: «فمَهْ؟!» أخرجه أبو داود (٢٣٨٥)، وغيره، وصححه الألباني- رحمه الله-.
(٢) «المحلى» (٦/٢٠٨، ٢٠٩).
(٣) «شرح النووي» (١/١١٥).
(٤) نقله عنه د. محمد الأشقر في «أفعال الرسول -صلى الله عليه وسلم» (٢/ ١٦٢).

- وقال الإمام القرافي- رحمه اللَّه-: «فلو رآه عليه السلام، فقال له: إن امرأتك طالق ثلاثًا، وهو يجزم بأنه لم يطلقها ؛ فهل تحرم عليه لأن رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- لا يقول إلا حقًّا؟ وقع فيه البحث مع الفقهاء، واضطربت آراؤهم في ذلك بالتحريم وعدمه، لتعارض خبره عليه السلام عن تحريمها في النوم، وإخباره في اليقظة في شريعته المعظمة أنها مباحة له، والذي يظهر لي أن إخباره عليه السلام في اليقظة مقدم على الخبر في النوم لتطرق الاحتمال للرائي بالغلط في ضبط المثال»[1]. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني -بعد كلام له سبق-: «ويؤخذ من هذا: ما تقدّم التنبيه عليه؛ أن النائم لو رأى النبي - صلى الله عليه وسلم- يأمره بشيء، هل يجب عليه امتثاله - ولا بدّ - أو لا بدّ أن يعرضه على الشرع الظاهر؟. والثاني هو المعتمّد، كما تقدّم»[2].

وسُئل العز بن عبد السلام - رحمه اللَّه - عن ثواب القراءة المُهْدىٰ للميت: هل يصل أو لا؟ فأجاب بما ملخصه:

«ثواب القراءة مقصور على القارئ، لا يصل إلى غيره»، إلى أن قال: «والعجب أن من الناس من يثبت ذلك بالمنامات، وليست المنامات من الحُجَج الشرعية التي تثبت بها الأحكام»[3].

وقال الشيخ زكريا الأنصاري: علامة صحة رؤيا رسول - صلى الله عليه وسلم - أن من رآه؛ لا يسمع منه ما يخالف ما جاءت به الشريعة؛ بأن يكون له تأويل صحيح عند علماء الفن[4].

(١) «الفروق» (٤/٢٤٥، ٢٤٦).
(٢) «فتح الباري» (١٢/٣٨٩).
(٣) «فتاوى سلطان العلماء العز بن عبد السلام» ص(٤٣، ٤٤).
(٤) «حاشية الشيخ زكريا الأنصاري على الرسالة القشيرية» ص (١٧٥).

وقال العلامة عليُّ بن سلطان محمد القاري- رحمه اللَّه-: «لا اعتماد على رؤية المنام في غير حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مع أن الرؤى قد تحتاج إلى تعبير يناسب الرائي أو غيره في هذا المقام، فلو فرض أن أحدًا رأى النبي عليه الصلاة والسلام، وأمره بفعل شيء أو تركه على خلاف قواعد الإسلام؛ فليس له القيام بذلك الأمر بإجماع علماء الأنام»[1]. اهـ.

وقال العلامة الشوكاني- رحمه اللَّه-: «إن الشرع الذي شرعه اللَّه لنا قد كمَّله اللَّه - عَزَّ وجَلَّ-، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٣]. . ولم يبق بعد ذلك حاجة للأمة في أمر دينها، وقد انقطعت البعثة لتبليغ الشرائع وتبيينها بالموت، وبهذا تعلم أنا لو قدَّرنا ضبط النائم لم يكن ما رآه من قوله -صلى الله عليه وسلم- أو فِعْلِهِ حجةً عليه ولا على غيره من الأمة»[2]اهـ.

وقال العلامة عبدالعزيز بن باز- رحمه اللَّه-:

«أما اعتماد المنامات في إثبات كون فلان هو المهدي ؛ فهو مخالف للأدلة الشرعية ولإجماع أهل العلم والإيمان، لأن المرائي مهما كثرت لا يجوز الاعتماد عليها في خلاف ما ثبت به الشرع المطهر، لأن اللَّه سبحانه أكمل لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ولأمته الدين، وأتم عليهم النعمة قبل وفاته- عليه الصلاة والسلام-، فلا يجوز لأحد أن يعتمد شيئًا من الأحلام في مخالفة شرعه - عليه الصلاة والسلام -»[3].

(١) «المقدمة السالمة في خوف الخاتمة» ص(٢٢).
(٢) «إرشاد الفحول» ص(٢٤٩).
(٣) «جريدة عكاظ» (١٨/١/١٤٠٠هـ).

وأخيرًا إليك هذه الوقائع:

الأولى:

حكى العثماني قاضي صفد أنه توجه لزيارة الشيخ الزاهد الفقيه الشافعي فرج بن عبدالله المغْرِبي الصفدي صحبة الشيخ تاج الدين المقدسي، فجرت مسألة النظر إلى الأمرد، وأن الرافعي يُحَرِّمُ بشرط الشهوة، والنووي يقول: «يحرم مطلقًا»، فقال الشيخ فرج: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في المنام، فقال لي: «الحق في هذه المسألة مع النووي»، فصاح الشيخ تاج الدين، وقال: «**صار الفقه بالمنامات؟!**»، فخضع الشيخ فرج، وقال: «أستغفر الله، أنا حكيت ما رأيت، والبحث له طريق»، فسكت الشيخ تاج الدين، وقال: «نحن في بيتك»[1].

الثانية:

في إحدى السنوات تراءى الناس الهلال- هلال رمضان- فلم يروه، فجاء رجل إلى قاضي البلد يقول له:

«لقد رأيت الرسول -صلى الله عليه وسلم- البارحة في المنام، وأخبرني أن الليلة من رمضان، وأمرني والمسلمين بالصيام».

فقال له القاضي: «إن الذي تزعم أنك رأيته في المنام، قد رآه الناس في اليقظة جَهَارًا نَهارًا، وقال لهم: (صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته)؛ فلا حاجة بنا إلى رؤياك»[2].

الثالثة:

رُوِيَ أن رجلًا رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم، فقال له:

(١) «الدرر الكامنة» (٣/٣١١، ٣١٢).

(٢) «قضايا في المنهج» ص(١٥).

«اذهب إلى موضع كذا فاحفره، فإن فيه رِكَازًا[1]، فخذه لك، ولا خُمسَ عليك فيه»، فلما أصبح ذهب إلى ذلك الموضع، فحفره فوجد الرِّكَازَ فيه، فاستفتى علماء عصره، فأفتوه: بأن لا خُمسَ عليه لصحة الرؤيا، وأفتى العز بن عبدالسلام بأن عليه الخمسَ، وقال: أكثر ما يُنَزَّلُ منامُه منزلةَ حديثٍ صحيح، وقد عارضه ما هو أصحُّ منه، وهو حديث «في الرِّكَازِ الخُمُسُ»[2].

وحكى الغزالي عن بعض الأئمة: أنه أفتى بوجوب قتل رجل يقول بخلق القرآن، فروجع فيه، فاستدل بأن رجلًا رأى في منامه إبليس قد اجتاز بباب المدينة، ولم يدخلها، فقيل: «هل دخلتها؟» فقال: «أغناني عن دخولها رجل يقول بخلق القرآن- وذكر اسمه-»، فقام ذلك الرجل، فقال: «لو أفتى إبليس بوجوب قتلي في اليقظة هل تقلدونه في فتواه؟» فقالوا: «لا»، فقال: «قوله في المنام لا يزيد عن قوله في اليقظة!»[3].

يقول الدكتور عمر الأشقر- حفظه الله-: «الرؤيا لا تُعَدُّ تشريعًا، وبعض الأفراد والجماعات تجعل من الرؤى، والتجليات، والأفكار، وأحاديث القلوب مصدرًا تشريعيًّا ينافس القرآن والسنَّة، وقد يُقَدَّمُ عليهما.

الرُّؤيَا الصادقة ما هي إلا مبشِّرٌ بأمر سارٍّ، وقد تكون دعوةً إلى الاستقامة، وقد تكون تثبيتًا على الحق، وقد تُنَفِّرُ من الباطل، ولكنها لا تُشَرِّعُ شيئًا جديدًا، وقد جادلني رجل كان يَسِيرُ على بدعة لم يُشَرِّعْهَا اللَّه؛ إذ كان يَقُومُ على القبور بعد أن يُدْفَنَ أصحابها؛ لِيُلَقِّنَ الميتَ حُجَّتَهُ، ويعرفَه بما يجيب به

(١) الركاز: المراد به هنا الأجزاء المستقرة في الأرض من المعادن والجواهر كالذهب والفضة والنحاس، وانظر: «الرؤى والأحلام في السنة النبوية» تأليف عبد الله العمري ص(٥٣).

(٢) «شرح الزرقاني على الموطأ» (٢/١٠١)، والحديث في البخاري (١٤٩٩)، ومسلم (١٧١٠).

(٣) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٢٦٢).

رسلَ ربه، جادلني هذا الرجل بأن هذا مشروع، بدليل أنه رأى في منامه كيف يُفْعَلُ بالميت منذ نزع الروح إلى الدفن، وكان هذا التلقين مما رآه يُفعل، فقلت له: إن ديننا تامٌّ كامل، لا ينتظر شخصًا يكمله بالرؤيا والمنام، وكيف يكون جوابك عندما يأتيك آخَرُ يزعم أنه رأى خلاف ما رأيت؟!

ومن الذي نتبعه: أنت أم هو؟ كلا، لا نتبع إلا خير الهدي؛ هديَ محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة» ص(١١٤).

الرؤيا والاستخارة

يظن كثير من الناس أن المستخير لا بد له أن يرى في منامه- بعد الاستخارة- رؤيا ترشده إلى الخير في الأمر الذي يستخير فيه، لذلك يحرصون على أداء الاستخارة ليلًا والنوم بعدها، وذلك ظن غير صحيح، لأنه لا يستطيع الجزم هل ما يراه رؤيا أم حديث نفس أم حُلْم شيطاني.

قال ابن الحاج المالكي- رحمة اللَّه-: «وبعضهم يستخير الاستخارة الشرعية، ويتوقف بعدها حتى يرى منامًا يفهم منه فِعْلَ ما استخار فيه أو تَرْكه، أو يراه غيرُه له، وهذا ليس بشيء؛ لأن صاحب العصمة -صلى الله عليه وسلم- قد أمر بالاستخارة والاستشارة لا بما يُرى في المنام»[1].

وقال العلَّامة بكر بن عبد اللَّه أبو زيد- رحمه اللَّه-: «النوم بعد الاستخارة لعله- أي: المستخير- يرى رؤيا تدله على أحد الأمرين: **عمل لا أصل له**». اهـ[2].

ومن البدع المتعلقة بالاستخارة أن يشترط المستخير أن يُريه اللَّه في منامه خُضرةً أو بياضًا إذا كان ما يقصده خيرًا، ويرى حُمْرةً أو سوادًا إذا كان ما يقصده لا خير فيه[3].

وعلى العبد إذا استخار ربه- عز وجل- أن يمضي بعد الاستخارة في الأمر الذي هَمَّ به؛ لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «ثم يعزم» أي: يقدم على فعل ما استخار فيه.

(١) «المدخل» (٤/٣٧).
(٢) «تصحيح الدعاء» ص(٤٨٨).
(٣) «القول المبين في أخطاء المصلين» للشيخ مشهور حسن ص(٤٠٩).

عن أنس بن مالك- رضي اللَّه عنه- قال: «لما تُوفِّيَ رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- كان بالمدينة رجل يُلْحِد، وآخر يُضَرِّح[1]، فقالوا: نستخير ربنا ونبعث إليهما، فأيهما سبق تركناه، فأرسل إليهما، فسبق صاحب اللحد، فلحدوا للنبي -صلى الله عليه وسلم-»[2].

وفيه: أن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لما استخاروا مضوا في الأمر دون اعتبار لرؤيا أو انشراح الصدر[3]، بل انتظروا ما يسره الله، واختاره، فعملوا به.

❁ ❁ ❁

(١) اللاحد والضارح: الذي يعمل اللَّحْد، والضَّريح، واللحد: الشَّق الذي يُعمل في جانب القبر لموضع الميت، لأنه قد أُميل عن وسَط القبر إلى جانبه، والضَّريح هو القبر، فعيل بمعنى مفعول، من الضَّرْح: الشَّقّ في الأرض.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٥٧)، وسنده حسن كما قال الحافظ في «التلخيص» (٢/ ١٢٥) رقم (٥٣)، وانظر: «أحكام الجنائز» للعلامة الألباني ص(١٨٣).

(٣) إذ لا دليل أيضًا على انشراح الصدر، وقد ينشرح الصدر لهوًى في النفس داخَلَها قبل الاستخارة، قال العز بن عبد السلام- رحمه الله-: «يفعل ما اتفق»، نقله عنه الحافظ في «الفتح» (١٤/٤٢٢)، طبعة دار طيبة - الرياض.

وقال ابن الزملكاني- رحمه الله-: «إذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر، فليفعل بعدها ما بدا له سواء انشرحت نفسه أم لا، فإن فيه الخير، وإن لم تنشرح له نفسه، قال: وليس في الحديث اشتراط انشراح النفس». اهـ. من «طبقات الشافعية الكبرى» (٩/٢٠٦).

وقال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: «والمعتمد أنه لا يفعل ما ينشرح به صدره مما له فيه هوًى قوي قبل الاستخارة». اهـ. من «فتح الباري» (١٤/٤٢٢)، طبعة دار طيبة - الرياض، فالذي ينوي فعل أمرٍ ما، عليه التحري حوله جيدًا، والسؤال عنه، والاستشارة فيه، فإن هَمَّ بفعله استخار فيه متجردًا من كل ميل وهوًى، ثم أقدم عليه، وباشَرَ فِعْلَ ما يريد: فإن كان خيرًا يسره الله، وإن كان شرًّا صرفه الله.

دلالة رؤى الأنبياء على الأحكام

رؤى الأنبياء عليهم السلام:

لا خلاف في ترتب الأحكام الشرعية على رؤى الأنبياء- عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام- لأنها وحي من اللَّه - عز وجل -، فالرؤى وسيلة من وسائل تلقي التكاليف الشرعية، والنواميس الإلهية التي بها تنتظم أمور العباد مما يتعلق بالمعاش والمعاد، وهذا مختص بالأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والسلام -[1]، «فأول ما بُدئَ به رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[2].

وقال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «أُريتُ ليلة القدر، ثم أيقظني بعضُ أهلي، فنسيتُها، فالتمسوها في العشر الغوابر»[3].

- وإذا رأى بعض الصحابة- رضي اللَّه عنهم- رؤيا في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم أقرَّه -صلى الله عليه وسلم- عليها، فإن الأحكام الشرعية تترتب عليها لا لذاتها، ولكن لتقرير النبي -صلى الله عليه وسلم- إياها، كما وقع من عبد اللَّه بن زيد- رضي اللَّه عنه- عندما رأى من علَّمه

(١) وقد شرع خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - في ذبح ابنه إسماعيل - عليه السلام - لما رأى الرؤيا، كما قصَّه الله - تعالى - في سورة الصافات (الآيات ٩٩- ١١٢)، فهذا النوع من الوحي يدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية (الشورى: ٥١)، فالوحي هنا يشمل الرؤيا والإلهام.

(٢) أخرجه البخاري (١/٢٢)، ومسلم رقم (٢٥٢) (١/١٣٩- ١٤٢)، وغيرهما.

(٣) انظر: «فتح الباري» (٤/٢٥٩)، والحديث رواه مسلم (٢/٨٢٣) (٢٠٧).

ألفاظ الأذان، وقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقِ عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتًا منك» الحديث[1].

وأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه بالسجود في سورة «ص» اعتمادًا على رؤيا أبي سعيد الخدري- رضي اللَّه عنه- لما رأى أنه يكتب سورة «ص»، فلما بلغ السجدة، سجدت الدواة والقلم وكل شيء بحضرته، فقصها على النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم يزل يسجد بها[2].

فالعمل بهذه الرؤى ليس من العمل برؤيا غير الأنبياء، بل هو من العمل بقول رسول اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فيمكن أنه علم بحقيقة الرؤى بوحي أو إلهام، أو بأي وجهٍ كان- واللَّه تعالى أعلم-.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود (١/١٣٥، ١٣٦) (٤٩٩)، والترمذي (١/٣٥٨- ٣٦٢) (١٨٩)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (١/٢٢٢، ٢٢٣)، (٧٠٦)، والإمام أحمد (٤/٤٢، ٤٣)، وغيرهم، وصححه البخاري، وابن خزيمة، والنووي، ومن المعاصرين الألباني، وشعيب الأرناؤوط.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/٧٨، ٨٤)، والحاكم (٢/٤٣٢)، وسكت عليه، وصححه الذهبي على شرط مسلم، والبيهقي (٢/٣٢٠)، وقال المنذري: «رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح»، كما في «الترغيب» (٢/٣٥٦) (٣٥)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»، كما في «المجمع» (٢/٢٨٤).

من فوائد الرؤى

لا تُستفاد الأحكام الشرعية من رؤى غير الأنبياء - عليهم السلام -، لكن يُستفاد منها:

أولًا: البشارة والنذارة

وقد سمى رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- الرؤيا الصادقة «المبشرة»، وفي معناها: «المنذِرة»[1]، وفائدة المبشرات أنها ترغِّب في المزيد من الطاعات، وفائدة «المنذرات» الردع عن المخالفات.

عن ابن عمر- رضي اللَّه عنهما- قال: إنَّ رجالًا من أصحاب رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، فيقصونها على رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، فيقول فيها رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- ما شاء الله، وأنا غلام حديث السن، وبيتي المسجدُ قبل أن أنكح، فقلت في نفسي: لو كان فيك خيرٌ لرأيتَ مثل ما يرى هؤلاء، فلما اضطجعت ليلة قلت: اللهمَّ إن كنتَ تعلم فيَّ خيرًا فأرني رؤيا، فبينما أنا كذلك إذْ جاءني مَلَكان في يد كل واحد منهما مقمعة من حديد، يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهمَّ أعوذ بك من جهنم، ثم أُراني لقيني مَلَك في يده مقمعة من جديد، فقال: «لن تُراعَ[2]»،

(١) (والمنذرة قد ترجع إلى معنى المبشرة؛ لأن من أُنذر بما سيقع له - ولو كان لا يسره - أحسنُ حالًا ممن هجم عليه ذلك، فإنه ينزعج ما لا ينزعج مَن كان يعلم بوقوعه، فيكون ذلك تخفيفًا عنه ورفقًا به). اهـ. من «فتح الباري» (١٢/٣٧٢).

(٢) أي: لا فزع، ولا خوف، كما في «النهاية» (٢/٢٧٧).

نعم الرجل أنت لو تكثر من الصلاة»، فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير[1] جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، له قرون كقرون البئر، بين كل قرنين مَلَك بيده مقمعة من حديد، وأرى فيها رجالًا معلقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالًا من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين، فقصصتُها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «إنَّ عبد اللَّه رجلٌ صالح»، فقال نافع: «لم يزل بعد ذلك يكثر من الصلاة بالليل»[2].

❁ ❁ ❁

(١) أي: على جانبها وحرفها، كما في «النهاية» (٢/٤٨٥).

(٢) رواه البخاري (٣/٦) (١١٢١)، ومسلم (٤/١٩٢٧) (١٤٠)، وغيرهما.

ثانيًا: الرؤيا قد تصحح مسار حياة الإنسان

عن جعفر الصائغ قال: كان في جيران أبي عبد اللَّه أحمد بن محمد بن حنبل رجلٌ ممَّن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يومًا إلى مجلس أحمد يسلم عليه، فكأن أحمد لم يردَّ عليه ردًّا تامًّا، وانقبض منه، فقال له: يا أبا عبد الله، لِمَ تنقبض مني؟! فإني قد انتقلتُ عما كنت تعهدني برؤيا رأيتُها، قال: وأي شيءٍ رأيتَ؟ قال: رأيتُ النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم كأنَّه على علوٍّ من الأرض، وناسٌ كثير أسفل جلوسٌ، قال: فيقوم رجل منهم إليه، فيقول: «ادعُ لي»، فيدعو له، حتى لم يبق من القوم غيري، قال: فأردتُ أن أقوم، فاستحييتُ من قبيح ما كنتُ عليه، قال لي: «يا فلان، لِمَ لا تقومُ إليَّ فتسألني أن أدعو لك؟» قال: قُلْتُ: يا رسول الله، يقطعني الحياءُ لقبيح ما أنا عليه، فقال: «إن كان يقطعك الحياء؛ فقم فسلني أدعُ لك؛ **فإنك لا تسب أحدًا من أصحابي**»، قال: «فقمتُ، فدعا لي، فانتبهتُ وقد بَغَّضَ اللَّهُ إليَّ ما كنتُ عليه»، قال: فقال لنا أبو عبد الله: «يا جعفر، يا فلان، حدِّثوا بهذا، واحفظوه؛ فإنه ينفع»[1].

وحكى أحمد بن كامل الشَّجَري- القاضي- تلميذ الإمام أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري- قال:

قال لي أبو جعفر: رأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، وكان معي مِخلاة مملوءة حجارة، وأنا أرمي بين يديه، فقال المُعَبِّر: «إنه إن كَبُر نصح في دينه، وذَبَّ عن شريعته»، فحرِص أبي على معونتي على طلب العلم، وأنا حينئذ صغير[2].

(١) «كتاب التوابين» ص(٢٦٤، ٢٦٥).

(٢) «رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام» لمحمد شومان الرملي ص(٨٩).

- وكان من أسباب توجه الإمام العجلوني إلى طلب العلم أنه لما كان في بلاده، وكان صغيرًا يقرأ في «المكتب» رأى في عالم الرؤيا أن رجلًا ألبسه جوخة خضراء مركبة على فرو أبيض في غاية الجودة والبياض، وقد غمرته لكونها سابغة على يديه ورجليه، فأخبر والده بالمنام، فحصل له بذلك السرور التام، وقال له: «إن شاء اللَّه يُجعل لك يا ولدي من العلم الحظ الوافر»، ودعا له بذلك[1].

- وحدثني الشيخ زهورُ الحَسَن الكشميريُّ بقصة رجل إنكليزي فوجئ به الإخوة في أحد المساجد في لندن يدخل عليهم، ويقول لهم: «أريد أن أُسْلِم»، فسألوه عن سبب ذلك، فقال: «إن المسيح أتاني في المنام، وقال لي كن مسلمًا»، فشهد الشهادتين، وأقام الصلاة، ثم تُوفي بعد أيامٍ قلائل.

❁ ❁ ❁

(١) «أغرب وأظرف الرؤى والأحلام» للدكتور محمد غنيم ص(٨٧).
(٢) وقد زرنا قبره في مدافن المسلمين شمال شرق لندن سنة (١٩٧٤م).

ثالثًا : الرؤى دليل على بقاء الأرواح بعد فناء الأبدان

- فإن كثيرًا من الناس يرى أباه أو ابنه في المنام، ويقول له: اذهب إلى الموضع الفلاني فإن فيه ذهبًا دفنته لك، وقد يراه فيوصيه بقضاء دين عنه، ثم عند اليقظة إذا فتش عنه كان كما رآه في النوم من غير تفاوت، ولولا أنَّ روح الإنسان باقية بعد الموت لما وقع ذلك.

«عن أنس - رضي اللَّه عنه -: أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس أكفانه، وقد انهزم أصحابه، وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فبئس ما عوّدتم أقرانكم، خلوا بيننا وبين أقراننا ساعة، ثم حمل فقاتل ساعة فقُتل، وكانت درعه قد سُرِقت، فرآه رجل فيما يرى النائم، فقال: إن درعي في قِدْر تحت إكاف بمكان كذا وكذا، وأوصى بوصايا، فطُلب الدرعُ فوُجِد حيث قال، فأنفذوا وصيته»[1].

❁ ❁ ❁

(١) تقدم ص(٩٠) هامش (١).

رابعًا: الرؤى وسيلة تواصل مع الأموات

فقد يطلع الأحياء من خلال الرؤى على أحوال الأموات، وقد يفيد هذا في معرفة ما هم فيه من الكرامة والنعيم، أو المرارة والعذاب الأليم، وربما تعين الرؤية على استدراك ما فاتهم من الطاعات، وجبران ما عليهم من التبعات، وقد يخبرون عن سبب ما هم فيه من الآلام.

عن ابن عباس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، قال: «تلتقي أرواح الأحياء والأموات في المنام، فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها»[١].

وعن جابر - رضي الله عنه - «أنَّ الطفيل بن عمرو الدَّوْسِيَّ أتى النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، هل لك في حصن حصين ومَنَعَةٍ؟ (قال: حصن كان لِدَوْسٍ في الجاهلية) فأبى ذلك النبيُّ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه، فاجتووا[٢] المدينة، فمرض، فجزع، فأخذ مَشَاقِصَ[٣] له، فقطع بها براجِمه[٤]، فشخبت[٥] يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرٍو في منامه، فرآه وهيئته حسنة، ورآه مغطيًا

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ ١١٦، ١١٧) (١٢٢)، وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح». اهـ. من «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٠).

(٢) اجتويت البلد: إذا كرهت المقام فيه، وإن كنت في نعمة. «النهاية» (١/ ٣١٨).

(٣) المشقص: نَصْل السهم إذا كان طويلًا غير عريض. «النهاية» (٢/ ٤٩٠).

(٤) البراجم: هي العقد التي في ظهور الأصابع. «النهاية» (١/ ١١٣).

(٥) الشَّخْب: السيلان.

يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ قال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه -صلى الله عليه وسلم-، فقال: ما لي أراك مغطيًا يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدتَ، فقصها الطفيل على رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: اللهمَّ وليديه فاغفر»[١].

كما أنها طريق إلى الاطلاع على أحوال الأقارب والأحباب الأحياء في مكان ما من العالم، فقد يتعرف النائم على أخبار حبيبه الذي غاب عنه من خلال الرؤيا في المنام. عن عمارة بن خزيمة بن ثابت أنَّ أباه قال: «رأيت في المنام كأني أسجد على جبهة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأخبره بذلك، فقال: إنَّ الروح ليلقى الروح، وأقنع النبي -صلى الله عليه وسلم- رأسَه هكذا، قال عفان برأسه إلى خلفه، فوضع جبهته، على جبهة النبي -صلى الله عليه وسلم-»[٢].

وإليك هذه القصة الواقعية التي أوردها الشيخ محمد بن عبد العزيز، قال:

هذه القصة ذكرها الواعظ المشهور «صالح المالك» في موعظة له في المسجد، نقلًا عن رجل كان من الحاضرين أشار إليه في بداية روايته لهذه القصة:

(شيخ كبير في السن كان سببًا في هداية أسرة كاملة، كانت غافلة لاهية تقضي معظم وقتها أمام شاشة التلفاز لمشاهدة الصور المحرمة ومسلسلات

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» ص(١٢٥)، ومسلم - واللفظ له - (١/ ١٠٨، ١٠٩) رقم (١٨٤)، وغيرهما.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٨٤) (٧٦٣١)، والإمام أحمد (٥/ ٢١٤- ٢١٦)، وابن حبان (٩/ ١٤٠) (٧١٠٥)، والحاكم (٣/ ٣٩٦)، وسكت عليه هو والذهبي، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات». اهـ. من «المجمع» (٧/ ١٨٢)، وصححه شعيب الأرناؤوط في «تحقيق شرح السنة» (١٢/ ٢٢٥).

الحب والغرام والهيام، فما هي تفاصيل القصة؟.. لنترك المجال لهذا الشيخ الكبير ليحدثنا عن التفاصيل، يقول:

في يوم من أيام شهر رمضان المبارك كنت نائمًا في المسجد بعد صلاة الظهر، فرأيت فيما يرى النائم رجلًا أعرفه من أقاربي قد مات- ولم أكن أعلم أن في بيته تلفازًا- جاءني، فضربني بقدمه ضربة كدت أُصرع من ضربته، وقال لي: «يا فلان، اذهب إلى أهلي، وقل لهم: يخرجون التلفاز من بيتي».

قال الشيخ: وكنت أرى هذا التلفاز في بيته، وكأنه كلب أسود، والعياذ بالله.. قال: فاستيقظت من نومي مذعورًا، واستعذت باللَّه من الشيطان الرجيم، وعدت إلى نومي.. فجاءني في المنام مرة ثانية، وضربني ضربة أقوى من الأولى، وقال لي: «قم، واذهب إلى أهلي، وقل لهم: يخرجون التلفاز من بيتي، لا يعذبونني به». قال: فاستيقظت مرة ثانية، وهممت أن أقوم، ولكني تثاقلت، وعدت إلى نومي، فجاءني في المرة الثالثة، وضربني في هذه المرة ضربة أعظم من الضربتين الأوليين، وقال لي: «يا فلان قُمْ!.. اذهب إلى أهلي، وقل لهم يُخَلِّصونني مما أنا فيه خلَّصك الله». قال: فاستيقظت من نومي، وعلمت أن الأمر حقيقة، فلما صليت التراويح من ذلك اليوم؛ ذهبت إلى بيت صاحبي- وهو قريب لي- فلما دخلت إذا بأهله وأولاده قد اجتمعوا عليه ينظرون إليه، وكأن على رؤوسهم الطير، فجلست، فلما رأوني، قالوا مستغربين: «ما الذي جاء بك يا فلان في هذا الوقت فليس هذا من عادتك؟» قال: فقلت لهم: «جئت لأسألكم سؤالًا فأجيبوني عليه.. لو جاءكم مخبر، وأخبركم أن أباكم في نار جهنم، أو يُعذب في قبره هل ترضون بذلك؟ قالوا: «لا.. ندفع كل ما نملك مقابل نجاة أبينا من العذاب».

قال: فأخبرتهم بما رأيته في المنام من حال أبيهم، فانفجروا جميعًا

بالبكاء، وقام كبيرهم إلى ذلك الجهاز «التلفاز»، وكسَّره تكسيرًا أمام الجميع معلنًا التوبة...

ولكن القصة لم تنته بعد..

قال الشيخ: فرأيته بعد ذلك في النوم؛ فقال لي: «خَلَّصك اللَّه كما خلصتني»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «العائدون إلى الله» ص(٨١- ٨٣)، ولا شك أن واقع «التلفاز» قد تحسَّن كثيرًا بظهور القنوات الفضائية الإسلامية، بعد أن كان منحازًا بالكلية إلى الشر.

خامسًا: قد تفيد الرؤية تزكية بعض الصالحين، وذم مَن سواهم

قال محمد بن يوسف الفِرَبْرِيُّ:

سمعت محمدًا البخاري بخوارزم يقول: «رأيت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل (أي البخاري)- يعني في المنام- خلف النبي -صلى الله عليه وسلم-، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يمشي، فكلما رفع النبي -صلى الله عليه وسلم- قدمه، وضع أبو عبد الله محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع». اهـ[1].

وقال كذلك: «رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري. فقال: أقرئه مني السلام». اهـ[2].

وقال الحافظ أبو موسى المديني: حدثنا مَعْمَر بن الفاخر، حدثنا عمي، سمعت أبا نصر بن أبي الحسن يقول: قيل للصاحب إسماعيل بن عباد: «أنت رجل معتزلي وابن المقرئ[3] محدِّث، وأنت تحبه!»، قال: «لأنه كان صديق والدي، وقد قيل: مودة الآباء قرابة الأبناء، ولأني كنت نائمًا فرأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لي: أنت نائم، وولي من أولياء الله على

(١) «تاريخ بغداد» (٢/٩، ١٠).

(٢) «نفسه» (٢/ ١٠).

(٣) هو الشيخ الحافظ الجوَّال الصدوق، مسند الوقت، أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني ابن المقرئ، صاحب «المعجم»، والرحلة الواسعة، (ت٣٨١).

بابك؟! فانتبهت، ودعوت، وقلت: مَن بالباب؟ فقال: أبو بكر بن المقرئ»[1].

وحكى أبو بشر القطان قال: رأى جار لابن خزيمة- إمام الأئمة- من أهل العلم كأن لوحًا عليه صورة نبينا -صلى الله عليه وسلم-، وابن خُزيمة يصقُلُه، فقال المعبِّر: «هذا رجلٌ يُحيي سنة رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-»[2].

وروى الإمام ابن عساكر بإسناده عن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي قال: سمعت الإمام أبا المعالي الجويني قال: كنت بمكة أتردد في المذاهب، فرأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في المنام، فقال: «عليك باعتقاد ابن الصابوني»[3].

❁ ❁ ❁

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٦/٤٠١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/٣٧٢- ٣٧٣).

(٣) «تاريخ دمشق» (٩/١٢)، وابن الصابوني هو الإمام العلامة القدوة المفسر المحدث شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني، كان من أئمة الأثر، له مصنف في السنة واعتقاد السلف، ما رآه منصف إلا واعترف له، (ت٤٤٩)، راجع «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٠).

سادسًا : وقد تكون الرؤية وسيلة لاكتشاف ما ينفع البشر

- فقد حاول الكيميائي الألماني «فريدريك أوجست كيكولي» مرارًا أن يصل إلى التركيب الكيميائي للبنزين، لكنه كان يفشل على الدوام، وذات ليلة رأى في منامه ستة ثعابين كان كل واحد منها يعض ذيل الآخر، لتتكون من ذلك حلقة كبيرة دوارة، فلما أفاق من نومه واستيقظ وجد لديه حل مشكلته، وهو أن تكوين البنزين يشبه حلقة الثعابين الستة، ويتكون من حلقة مغلقة من ست ذرات كربون[1].

وهذا «فريدريك نانتنج» مكتشف الإنسيولين يقوم بتجارب مضنية لاستخلاص تلك المادة الحيوية، وبعد أن أعياه البحث رأى في منامه رؤيا تدله على طريقة استخلاص الإنسيولين من بنكرياس الكلب، وحين يستيقظ يقوم بالتجربة، وينجح في استخلاص تلك المادة الحيوية التي أنقذت، ومازالت، الملايين من مرضى «البول السكري»[2].

في عام ١٩٦٧م أُنشئ في بريطانيا «مكتب التوقعات البريطاني» لمحاولة تتبع الأحلام التي تدل أو تشير إلى كوارث عامة أو قضايا تخص المجتمع كله، وذلك لمحاولة تلافي حدوثها، أو تقليل آثارها إن حدثت.

---

(١) «نوادر الحكايات في الرؤى والمنامات» ص(٢١).

(٢) «الأحلام بين العلم والعقيدة» للدكتور علي الوردي ص(١٨٢)، و«النوم والرؤى والأحلام» للدكتور السيد سلامة السقا ص(٦٥).

وقد أُنشئ هذا المكتب بعد وقوع كارثة في قرية بريطانية تدعى «إيبرفاين» سنة ١٩٦٦م حيث انهار جبل من الفحم على تلك القرية مما أدى إلى وفاة عدد كبير من الأفراد معظمهم من الأطفال، وبتتبع أخبار الكارثة وُجد أن عددًا كبيرًا من أهل القرية وأطفالها كانوا قد رأوا الكارثة أو ما يشير إلى حدوثها في منامهم»[1].

أما عالم «الفارماكولوجي = الصيدلة» «أتولوي» الذي حاز على جائزة نوبل في الفسيولوجي والطب في عام (١٩٣٦م)، فقد كان يقوم باختبارات على الضفادع في محاولة للتوصل إلى طبيعة النقل العصبي (نقل الإثارات العصبية)، غير أنه لم يستطع التقدم في أبحاثه إلى نقطة الحل . . . وذات ليلة أفاق من حلمه وقد انجلت له في آن واحد نظرية «النقل العصبي» والتجربة المختبرية اللازمة لاختبارها، وراح يخط بعض الكلمات في ورقة ثم رجع إلى نومه، وفي الصباح وجد بأن ما خطه على قصاصة الورق لا يستطيع فهمه، كما أنه لم يتمكن من استعادة ذكرى حلمه في الليل، وحاول جاهدًا أثناء النهار استعادة ذلك الحلم، ولكن دون جدوى، وفي الليلة التالية عاد له الحلم ثانية، وفي هذه المرة استفاق ولم يعد إلى النوم، وإنما ارتدى ملابسه، وذهب مباشرة إلى مختبره، وقام بإجراء التجارب التي تبينت له في حلمه، والتي أثبتت بأن الفعل العصبي يحدث بواسطة مواد كيمياوية، وهو الاكتشاف الذي منح عليه جائزة نوبل لاكتشافه له»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) «أغرب وأظرف الرؤى والأحلام» ص(٢٦)، و«النوم والرؤى والأحلام» للدكتور السقا ص(٦٦).

(٢) «باب النوم وباب الأحلام» د / علي كمال (٧١٦- ٧١٧).

فهرس الموضوعات

الموضوع ..... الصفحة

- ❑ استند الصوفية ومدعو المهدية في دعاواهم إلى أصول ليس لها أصول في الشريعة ٥
- ❑ من مظاهر عبثهم بالمرجعية الشرعية ومصادر التلقي ٥
- ❑ لم يحسن أتباع مدعي المهدية ميزان النقد والتمحيص قبل التورط في الضلالات والفتن ٦
- ❑ تمهيد: حول مصادر التلقي بين أهل السنة والصوفية في قضايا الاعتقاد ٧
- ❑ مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة ٧
- ❑ مصادر تلقي العقيدة عند الصوفية ٨
- ❑ الصوفية الفلسفية مشدودة بحبال وثيقة إلى مصادر أجنبية عن الإسلام ٩
- ❑ التصوف جسم دخيل غريب، دعي زنيم، مبتدع محدث ٩
- ❑ تطور التصوف واستمداده من الفلسفة اليونانية والفارسية والهندية والأديان المحرفة ١٠
- ❑ فكرة «الإنسان الكامل» و«الحقيقة المحمدية» منقولة عن فلسفة (أفلوطين) الغنوصية ١١

حجية الرؤى، وسلطان المنامات

- • **أثر الأحلام في حياة البشر** ١٥
- ❑ تعريف الرؤيا ١٥

- أنواع الرؤى ١٦
- شرف علم الرؤيا ١٨
- محمد بن سيرين وشهرته بتأويل الرؤى ١٨
- كتابان في التعبير لم يثبت نسبتهما إلى محمد بن سيرين ١٩
- **نقد موقف المدرسة النفسية المادية من المنامات** ٢٢
- « فرويد » لم يعرف من الرؤى إلا أضغاث الأحلام ٢٣
- « المازَري » يستنكر أقاويل غير الإسلاميين في حقيقة الرؤيا ٢٥
- لا تنحصر الرؤى في انعكاسات أحاديث النفس في اليقظة ٢٦
- الرؤى فيها جانب غيبي لا يخضع للعلم المادي ٢٧
- **القول الفصل، والمنهج الوسط في شأن الرؤى :**
- ما هي « المبشرات » ؟ ٢٨
- الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقطع بالقول الفصل في أقسام الرؤيا ٢٩
- لا نستطيع الجزم بحقيقة رؤيا غير الأنبياء حتى تقع مطابقة في الواقع ٣١
- **تنبيه :** حول معنى كون الرؤيا جزءًا من النبوة ٣٢
- **غلو المُفرِطين في شأن الرُّؤى :**
- تضخم تأثير الرؤى على حياة أهل الغلو، والإفراط في شأنها ٣٣
- ذكر أمثلة من غلو الناس في تحكيم الرؤى وسلطانها على تسيير حياتهم ٣٣
- **نماذج واقِعِيَّةٌ مِن انحِرَافِ النَّاسِ في التَّعَامُلِ مَعَ المنَامَاتِ :**
- دِمَاءُ المُسْلِمِينَ لَا تُسْفَكُ بالأَحْلَامِ ٣٦
- الرؤيا تَسُرُّ، ولا تَغُرُّ ٣٧
- لَا يُطعَنُ في الرَّاوِي بمُجَرَّدِ مَنَامٍ ٣٧
- تحقيق الأحاديث بالمنامات ٣٩

- « الفراغ » من أسباب ظاهرة الاستغراق في المنامات ٤١
- **صور من الغلو في البناء على المنامات** ٤١
- رؤيا الشيخ عبد القادر الجيلاني الشيطانَ يدعي أنه ربه ٤١
- موقف المجتمع من الرؤى يعكس مستوى وعيه ونضجه ٤١
- لماذا يهتم المسجونون بالرؤى ؟ ٤٢
- تنحصر فائدة الرؤيا الحق في البشارة ، وفي معناها النذارة ٤٣
- نصيحة إلى الوعاظ أن يقتصدوا في شأن الرؤى ٤٤
- ضوابط التعامل مع الرؤى ٤٤
- وعيد من كذب في منامه ٤٥
- **مَنَامَات في خِدمَةِ البِدَعِ والضَّلَالَاتِ :**
- الشاذلي ورؤيا تُحرِّض على قراءة كلام الصوفية ٤٦
- دعوى ابن عربي أن رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- أعطاه كتاب « فصوص الحكم » في الرؤيا ٤٦
- واقعة طريفة ٤٦
- دعوى ابن الفَارِضِ أن رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- هو الذي سمَّى قصيدته التائية « نظم السلوك » في رؤيا زعمها ٤٧
- قول الإمام أبي زرعة: « لا شك في اشتمال (الفصوص) على الكفر الصريح » ٤٧
- قول الإمام البقاعي: «قد صارت نسبة ابن الفارض إلى الكفر متواترة تواترًا معنويًّا» ٤٧
- «البوصيري» صاحب «البردة» ودعواه إعجاب رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- بها في رؤيا منامية ٤٧

❑ غلو الناس في قصيدة «البردة» ٤٩

❑ من عادة الصوفية اختلاق القصص لترهيب الناس من الإنكار عليهم ٤٩

❑ رؤيا مختلَقة لإرهاب الذين ينكرون على ابن عربي وابن الفارض ٤٩

❑ الأمير برهان نظام شاه صار نقمة على أهل السنة في الهند، ونَشَر المذهب الرافضي، بسبب رؤيا منامية ٤٩

❑ رؤيا منامية رفعها العيدروس كالعصا يخوف بها من ينكر على «إحياء» الغزالي ٥١

❑ رؤيا يدعي فيها صاحبُها أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أقر ما في كتاب «قواعد العقائد» للغزالي ٥٢

❑ الشاذلي يذكر أنه رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأنه أمره بأن ينذر لنفيسة الطاهرة ولو فِلسًا، لتُقضى حاجته ٥٣

❑ منام يأمر من أشرفوا على الغرق بأن يستغيثوا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ٥٣

● **أضرِحَةُ المنَامَاتِ.. والمَزَارَات المُزَوَّرَات :**

❑ من أضرحة الرؤيا : مشهد السيدة « رقية »، والسيدة « زينب » بالقاهرة ... ٥٤

- ومنها : قبر النبي « شيث » بالموصل ٥٤

- من المزارات المزوَّرات : ضريح في شرق الجزائر لراهب نصراني ٥٥

- ضريح «الفرس» التي كان يركبها ولي مغربي باللاذقية ٥٥

❑ شيخ الإسلام يحكي قصة اختلاق قبرٍ لعبد الرحمن بن عوف بشاطئ الفرات ٥٥

❑ الرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق ٥٥

● **هذه الظَّاهِرَةُ.. إلى متى؟**

❑ ادعاء أن أم المؤمنين زينب أتت فتاة مريضة، عالجتها، وأمرتها أن تكتب روايةً ثلاث عشرة مرة، واستخدام الترغيب والترهيب لترويجها ٥٧

❑ إنه «إرهاب فكري مدمر» ٥٧

❑ نقد هذه الأكذوبة الملفقة بالعقل والنقل ٥٨

❑ رواية أخرى : افتحي المصحف، تجدي شعرة! ٥٩

● **رُؤيَة رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- في المَنَامِ :**

❑ شرط كونها رؤيا حق أن يرى النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- في صورته الحقيقية ٦٠

❑ يمكن أن يأتي الشيطان في صورة غير صورته -صلى الله عليه وسلم-، ويزعم أنه هو ٦١

❑ **فائدة :** من رأى نبيًّا يأمره بما يخالف الشريعة؛ فهو نهي له، وزجر عنه ٦٤

❑ اعتداد الصوفية بالمنامات ولو خالفت الشريعة .....

● **نَمَاذِجُ مِن الاستِغَلَالِ السَّيِّئِ لِمَا يُزعَمُ مِن رُؤيَةِ النبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- في المَنَامِ** ٦٧

❑ قصة عجيبة لعبد الوهاب الشعراني بشأن إثبات دفن رأس الحسين في المشهد بالقاهرة عن طريق الرؤيا والكشف المزعوم ٦٧

- شيخ الإسلام ابن تيمية يبطل احتجاج رجلٍ قاهري بمنام رآه على دفن رأس الحسين بالمشهد القاهري ٦٨

- شيخ الإسلام يكشف زيف الكف المنحوت في «مسجد الكف» ٦٩

❑ وصية الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية : الوصية الخرافية المزمنة ٧١

❑ هذه الخرافة تجاوزت حدود التاريخ والجغرافيا ٧١

❑ الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - يحكي أنه رأى مثل هذه الوصية لما كان يتعلم التهجي ٧١

❑ نقد الأستاذ محمود ياسين للوصية المزعومة نُشِرَ سنة ١٣٥١هـ ٧٣

❑ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء تبطل الوصية المزعومة ٧٦

- **حاشية فيها الرد على استدلال الرافضة بحديث: «إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» على تكفير الصحابة - رضي الله عنهم-** ٧٨

● **الرؤيا ليست حجة شرعية** ٨٣

- الأدلة على أن الرؤيا ليست مصدرًا للتشريع ٨٣

- بحث وافٍ للإمام الشاطبي - رحمه الله - في إبطال الاحتجاج بالمنامات ٨٧

❑ الإمام الشاطبي - رحمه الله - يضع النقط على الحروف في قضية الاحتجاج بالرؤى ٨٧

❑ لا ينسخ النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته - شريعته المستقرة في حياته ٨٨

❑ معنى قوله -صلى الله عليه وسلم-: «من رآني في النوم؛ فقد رآني» ... ٨٩

❑ يأتي المرئي تأنيسًا وبشارة ونذارة خاصة، لكن لا يقطع بمقتضاها حكم ... ٨٩

❑ بيان وافٍ من الإمام الشاطبي - رحمه الله - في الرد على من يحتج بالإلهام والكشف والرؤى المنامية ٩٠

● **نصوص أُخَر لبعض أهل العلم في المسألة:**

- قول شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حزم ٩٢

- قول النووي، وابن الحاج ٩٣

- قول القرافي والعز بن عبد السلام، والقاري، والشوكاني، وابن باز ... ٩٤

❑ الشيخ تاج الدين المقدسي يقول للشيخ فرج بن عبد الله منكرًا عليه: «صار الفقه بالمنامات؟» واعتذار الأخير عن ذلك ٩٦

❑ أمثلة أخرى لعدم الاعتبار بالمنامات في الأحكام ٩٦

الرؤيا والاستخارة

❑ ربط الاستخارة بترقب رؤيا بعدها، عمل لا أصل له ٩٩

❑ لا يوجد دليل على ترقب انشراح الصدر بعد الاستخارة ١٠٠

● **دلالة رؤى الأنبياء على الأحكام:**

- تترتب الأحكام الشرعية على رؤى الأنبياء - عليهم السلام - لأنها وحي من الله - عز وجل - ١٠١

- إذا رأى صحابي رؤيا، ثم أقره عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تترتب عليها الأحكام ١٠١

● **من فوائد الرؤى:**

❑ أولًا: البشارة والنذارة ١٠٣

❑ ثانيًا: الرؤيا قد تصحح مسار حياة الإنسان ١٠٥

❑ ثالثًا: الرؤى دليل على بقاء الأرواح بعد فناء الأبدان ١٠٧

❑ رابعًا: الرؤى وسيلة تواصل مع الأموات ١٠٨

❑ خامسًا: قد تفيد الرؤية تزكية بعض الصالحين، وذم مَن عداهم ١١٢

❑ سادسًا: قد تكون الرؤية وسيلة لاكتشاف ما ينفع البشر ١١٤

تم بحمد الله تعالى